المشرق

لبنان

نظر في اشغاله العموميَّة وزراعته ومستقبله الاقتصادي

للاديب اميل افندي خاشو مهندس لبنان سابقاً

قضيتُ سنتين في ادارة القلم الهندسي في لبنان فطفتُ كلَّ انحاء هذا الجبل للقيام بمأموريتي وعرفتُ احوالهُ حقَّ المعرفة وذلك ما يسمح لي بتدوين بعض الملحوظات التي لحظتُها او بابداء ما خطر لي من الخواطر اثناء تجوالي. وقبل الاستفاضة في الموضوع الذي تحرَّيتهُ اصدّرهُ بوصف عامّ لحدود الجبل

(حدود لبنان) يدخل لبنان في جملة الجبال السوريَّة التي تتركب من اربع سلاسل كبيرة: الاولى تمتدّ في حدود سوريَّة الشماليَّة وهي فرعٌ من جبل قيليقية المعروف بجبل طورس. والثانية تعرف بجبل اللكّام وهي تنقطع من الفرع القيليقي وتبلغ ارتفاعها الاعلى بازاء خليج الاسكندرونة ثمَّ تمتدّ الى جبل موسى فجبل كاسيوس وهو الجبل الاقرع وتميل الى الجنوب ومنها يتألَّف جبل النصيريَّة حتى تنتهي عند وادٍ كبير تسيل فيهِ مياه النهر الكبير الذي بهِ يتَّصل وادي حماة بالبحر المتوسط. والثالثة هي سلسلة لبنان تقوم ما وراء وادي النهر الكبير وتسير توًّا من الشمال الى الجنوب مع ميلة خفيفة الى الغرب. والرابعة سلسلة تنتصب بازاء السلسلة اللبنانيَّة موازيةً لها. وهي السلسلة المعروفة بالجبل الشرقي نهايتها عند الجنوب بالجبل المسمَّى جبل الشيخ ومنها تتفرَّع شرقاً فروع أُخرى تمتدّ الى ما وراء دمشق الى جهات تدمر

فلبنان والجبل الشرقي هما في وسط سوريَّة، والسلسلتان على طولهما منفصلتان «بسوريَّة المجوَّفة» التي تشمل في الشمال بلاد البقاع. والبقاع تنحدر الى وادي الاردن

حتى يصير منهبطها تحت سطح البحر المتوسط بنحو ٣٩٠ مترًا (١ ثم تتصاعد جنوبًا فوق بحيرة لوط فتعلو على سطح البحر ٢٠٥٠ مترًا

واعلى قمم لبنان شمالًا ظهر القضيب وعلوه ٣٠٦٣ مترًا ثم في الوسط جبل صنين وعلوه ٢٦٠٨ م . اما الجبل الشرقي فاعلى نقطة في جبل حرمون حيث يبلغ ٢٨٦٠م واذا بلغ لبنان حدود فلسطين اقترب من الساحل وتفرع منه جبل يعرف بالكرمل يتصل بالبحر . ومشارف لبنان تنخفض في جهة صور وعند وادي نهر الليطاني وتتفرع منها فروع اخرى تتشعب في انحاء فلسطين وتعد من جبالها

وان حصرنا النظر في لبنان وحده اعني الجهات التي تديرها حكومة الجبل فنجدها واقعة بين درجتي الطول ٣٣ و ٣٤ شرقي هاجرة باريس وبين درجتي ٣٣ ,٣٠ و ٣٤ ,٣٠ من العرض الشمالي فيكون طول تلك المساحة ١١٢ كيلومترًا اعني درجة جغرافية من العرض يبلغ معدلها ٣٠ كيلومترًا وان كسرتها كانت مساحتها ٣٣٦٠ كيلومترًا مربعًا او بالاحرى ٣٥٠٠ لتدخل في هذا الحساب ناحية هرمل وعلى كل حال قد وهم الجغرافي كوينه (Cuinet) اذ جعل هذه المساحة ٦٥٠٠ كيلومتر فتبعه في قوله غيره من الكتبة (٢

(احصاء النفوس) يبلغ عدد سكان لبنان نحو ٤٠٢٠٠٠ نفس كما ترى في الجدول التالي . ومما يؤيد صحة هذا الاحصاء ان عدد المكلفين بدفع المال الاميري في لبنان رسميًا يبلغ ١٠٠,٠٠٠ فان احصيت ملتزمًا واحدًا في الاربعة كان مجمل السكان ٤٠٠,٠٠٠ وليس في ذلك مبالغة مع ما نعلم من حالة العيال اللبنانية التي تكثر عادة اولادها . اما بالنسبة الى المسافة فيكون عدد السكان في كل كيلومتر مربع ١١٥ نفسًا وهو لعمري عدد وافر قلّما تجد مقداره في بلاد أخرى . ومما يجب اعتباره انّ عدد الملتزمين بأداء الجزية من الذين هاجروا الى بلاد شتّى يبلغ ٣٠,٢٠٠ رجل . فان ضاعفت هذا العدد لِيضمّ النساء والصغار كان عدد الغائبين حالًا ٦٠,٤٠٠ على الاقل . ومن اراد زيادة ايضاح في ذلك عليه بدليل لبنان لصاحب العزة جناب

١) وقعر بحيرة لوط يبلغ ٢٩٠ مترًا دون سطح البحر
٢) راجع كتاب كوينه في سورية ولبنان وفلسطين (Cuinet: *Syrie, Liban, Palestine*)

ابراهيم بك الاسود وليراجع ايضاً مقالات شتّى ظهرت في هذا الصدد اخصُّها ما كتبهُ حضرة الاب هنري لامنس اليسوعي. فدونك الجدول:

جدول احصاء النفوس في لبنان

النصارى		باقي السكان	
الموارنة	٢٣٠,٠٠٠	المسلمون	٣٠,٠٠٠
الروم الارثذكس	٥٤,٠٠٠	الدروز	٥٠,٠٠٠
الروم الكاثوليك	٣٤,٠٠٠	اهل الوبر والبدوان	٥٠٠
البروتستان	١,٥٠٠	الاجانب	٣٠٠
الارمن والسريان والكلدان	١,٠٠٠	اليهود	٢٠٠
اللاتين	٥٠٠		٨١,٠٠٠
	٣٢١,٠٠٠		٣٢١,٠٠٠
		المجموع	٤٠٢,٠٠٠

تقسم الحكومة اللبنانيَّة الى سبع قائمقامات او قضاوات وهي المتن والشوف والبترون وكسروان وجزّين والكورة وزحلة يُضاف اليها مديريَّة دير القمر الممتازة يلحق بها خمس قرى. والقضاوات تقسم الى ٤٥ ناحية فيها من القرى ٩٣١ قرية. وللحكومة مركزان رسميَّان بعبدا لفصل الشتاء وبيت الدين للصيف. هذا هو لبنان من حيث جغرافيتهِ امَّا من حيث التاريخ فلا حاجة الى تتبُّع اخبارهِ مع شيوعها. والغاية من هذه المقالة النظر في اشغالهِ العموميَّة وفي زراعتهِ وفي حالتهِ الاقتصاديَّة التي صار اليها بعد مهاجرة قسم من اهلهِ الى اميركة وما نجم عن ذلك من توفُّر الرسماليَّات

١ الاشغال العموميَّة في لبنان

الاشغال العموميَّة في لبنان تنحصر في ثلاثة امور خصوصاً في طرق العربات ثم سقي الاراضي الزراعيَّة ثمَّ بعض الاعمال الصناعيَّة الخاصَّة

١ الطرق وسكك العربات

السكك اهمّ واخطر ما صرفت اليهِ حكومة لبنان همَّتها بل يجوز القول انَّها عملها الوحيد. اما ما سوى ذلك من الابنية فانهُ لا يزال في دائرة النظريَّات ولم يخرج حتَّى الآن الى حيز العمل

باشرت متصرفيَّة الجبل بفتح الطرق للعربات على عهد الطيِّب الاثر المرحوم رستم باشا . ولم يكن قبل ذلك في لبنان طريق اخرى غير طريق العربات من بيروت الى الشام (١ التي أُنشئت سنة ١٨٦٠ . وكان المير بشير الشهابيّ سعى قبل ذلك بفتح طريق للبغال من بيت الدين الى بيروت فتكلَّف عليها المبالغ الوافرة مع تسخير الاهلين بها ولو جعلها سكَّة للعجلات لكانت انفع واقلّ نفقة . وبقيت الامور على ذلك الى سنة ١٨٧٥ حيث قرَّ رأي دولة المتصرّف رستم باشا على انشاء طريق لسير العربات من بكفيا . واهل هذه القرية لا يزالون الى يومنا هذا يذكرون حفلة افتتاح العمل لمَّا دقَّت النوبة اللبنانيَّة واخذ الفعلة يقطعون شجر التوت . ثمَّ ارادوا ان يوصلوا هذه السكَّة بسكَّة غزير لكنَّ مهندس ذلك الوقت قرَّر لهذه الطريق خطًّا غاية في الغرابة تُرى آثارهُ حتى اليوم وذلك فرارًا من تشكّيات البعض الذين كانوا يضنّون على ارزاقهم ولا يرضون بان يؤخذ منها شبر لمنفعة العموم . وهذا النفور يتجدَّد كلّ مرَّة تحاول حكومة لبنان فتح طريق جديدة كما رأيتهُ بالعيان في مدَّة مأموريَّتي اذ كان كثيرون يعتبرونني كعدوّ ارزاقهم ومتولّي مضرَّتهم

ومن اوَّل السكك التي أُنشئت في لبنان سكَّة عاليه منها الى طريق الشام وكان طولها كيلومترين . ثمَّ اصطنعوا سكك بيروت وانطلياس وبكفيا وغزير . وكان رستم باشا يفرغ في انجاز هذه الاعمال كنانة جهدهِ . ثمَّ جاء المتصرّفون من بعدهِ فجروا على آثارهِ لكنهم خالفوهُ نوعًا في توزيع النفقات على القرى . وكانت الحكومة اوَّلًا اذا ارادت نهج طريق جديدة تحمَّلت هي كُلَف العمل ثمَّ جروا بعدهُ على خلاف ذلك وهاك النظام المألوف منذ ٢٠ او ٣٥ سنة . اذا ما رغبت قرية او ناحية في فتح طريق قدَّمت للمتصرّف معروضًا موقعًا باسماء اكثريَّة الاهلين . والمتصرّف يعرض الامر على مجلس الادارة فيرتأي في ذلك رأيهُ ويثبت المتصرّف رأي المجلس . فان كان الامر ايجابيًا أمر المتصرّف بان يسير المهندس الى المكان المقصود فيختطّ رسمًا للطريق ويكتب في ذلك قرارًا مفصَّلًا في تخطيط السكَّة ونفقاتها الى غير ذلك من المعلومات . فيعود مجلس

١) وهذه الطريق لا تزال حتى اليوم مطروقة تجري فيها العجلات لكنهُ يسوءنا ان نرى الخراب يتهدَّدها فانَّ مدار الحياة اللبنانيَّة في الثاني متوقف عليها واليها تنفذ سكك اخرى متعدّدة اخصّها الطريق الممتدَّة من عاريّا الى عبيديه وحمَّانا والمتن الاعلى

الادارة الى تحوير الامر ويهتمّ خصوصاً بتوزيع اقساط النفقات على اهل القرى التي تنتفع من السكّة الجديدة على قدر ما يأتيها من الارباح . وخلاصة القول انّ القرويين ملتزمون بنفقات الطريق امّا الحكومة فتدفع كُلَف الجسور وتلتزم باصلاح السكّة وهي في كلّ سنة تقتضي من كلّ مكلّف بالدفع أن يؤدي لاصلاح الطرق ربع ريال الّا قضاء المتن حيث يجبون نصف ريال ولعلّهم يعمّمون ذلك الى كلّ انحاء لبنان لأنّ ربع الريال لا يفي بالغاية المقصودة . والسكك في قضاء المتن اكثر منها في القضاوات الاخر . وهاءنذا بقائمة مجموع كلّ السكك اللبنانيّة كما قستُها قبل اشهر قليلة

قائمة لطرق العجلات في لبنان

١ الطرق العموميّة (١	امتار
من بعبدا الى صيداء	٣٩,٣٦٠
من بعبدا الى البترون	٦٤,٠٠٠
من بعبدا الى بيت الدين	٤٩,٥٤٠
من دير القمر الى الداموز (لم تكمل)	٢١,٠٠٠
	١٧٣,٩٠٠

٢ طرق قضاء المتن	امتار
من الدكوانة الى بعبدات فارصون فحمانا فديرج	٥١,٤٥٠
من بعبدات الى المروج مع زحلة وملحقاتها	٥٤,٧٩٠
من انطلياس الى بكفيا فبسكنتا	٤١,٨٥٠
تفرّعات اخرى في الساحل	٢٢,١٥٠
تفرّعات في المتن الاعلى	٥٠,٥١٠
تفرّعات في المتن الشمالي	٥١,٠٦٦
	٢٧١,٨١٦

٣ طرق الشوف	امتار
من بيت الدين الى الباروك فعين زحلتا فديرج	٢٣,٧٥٤
من بيت الدين الى المختارة فحدود الشوف	٢٧,٧٩٠
من جسر القاضي الى عين طور فبحمدون الى القرية	٢٥,٦٦٠
تفرّعات مختلفة الى بمقاين فالباروك فبرجا والداموز الخ	٢٠,٠٠٠
تفرّعات اخرى الى عاليه فبيه فالشويفات فعيناب فعيتات فعين الرمانة فكفين	٢٥,٦٩٦
	١٤٢,٩٠٠

٤ طرق كسروان	امتار
من عين طورا الى عجلتون	٢٢,٢٠٠
من جونيه الى بكركي فريفون	٢٨,٦٥٥
من المعاملتين الى غزير فالجديدة	١٢,٠٠٠
تفرّعات شتّى	٦,٠٠٠
	٦٨,٨٥٥

١) المفهوم بالطرق العموميّة طرق الساحل من صيداء الى بعبدا ومن بيروت الى طرابلس والطريق الممتدة بين مركزي الحكومة اي بعبدا وبيت الدين ولهذه السكك صندوق خاص يُعرف

٥ طرق البترون	امتار
من البترون الى مار يوحنا مارون	
مع تفرّعات اخرى	٣٠,٥٠٠
سكّة جبّة بشرّاي	٦٠,٠٠٠
كبا حدث الجبّة	١٧,٠٠٠
من نهر ابي علي الى زغرتا فطرابلس	٢١,٠٠٠
	١١٨,٥٠٠

٦ طرق جزّين	
من مختارة الى جزين ومن حدود	
الشوف الى جزين (لم تكمل)	٥,٤٦٠
من جزّين الى صيداء وتفرّعاتها	٤٠,٠٠٠
	٤٥,٤٦٠

٧ طرق الكورة	امتار
من هري الى شكّا فكفرحزير	
فبحصاص فطرابلس	٣٠,٥٠٠
من كفرحزير الى اميون فكوسبا	
فعين بترّان	١٧,٢٨٥
من عين بترّان الى نهر ابي علي فكوسبا	
فبصرما	١٥,٠٠٠
	٦٢,٧٨٥

٨ سكك زحله	١٢٠٠٠
مجموع كل الطرق	٨٩٦,٢١٦

فان جمعنا كلّ هذه السكك بلغ مجموعها ٨٩٦,٢١٦ مترًا اعني نحو ٩٠٠ كيلومتر وان أضفت اليها الطرق التي باشروا بفتحها والتي طلب الاهلون اصطناعها زاد قياس الطرق نحو ٣٠٠ كيلومتر رسمتُ تخطيطها النهائي مدّة السنتين التي قضيتهما في مأموريّتي وهي الطرق الآتية (١

١ الطرق العموميّة	امتار
من البترون الى طرابلس على طريق	
المساحة ١١,١٤٠ + ١٠,٥٦٠ = ٢٦,٧٠٠	
وهذه الطريق قد بُوشر بعملها	

٢ قضاء المتن	
* من عين موفّق الى قبيع	٦,٠٠٠
من جسر صاليا الى بزبدين	٨,٥٠٠
* من قرنايل الى صليما	٥,٠٠٠
* من بزبدين الى المتين	٩,٠٠٠
* شعبة بتخنيه	٢,٨٦٠
طريق مغارة جعيتا	١١,٩٠٠

طريق المنصورية	امتار
* من قرنايل الى كفر سلوان	٩,٠٠٠
قطهر الحرف	١٥,٠٠٠
من فالوغا الى ظهر البيدر	١,٥٠٠
	٧٤,٧٠٠

٣ قضاء كسروان	
من جونيه الى مغارة جعيتا	١٠,٠٠٠
من حالات الى قرطبا	٣٥,٠٠٠
من زوق مصبح الى جسر نهر الكلب	٤,٥٠٠
	٤٩,٥٠٠

بالنافعة تكاليفهُ من ضريبة الربع الريال السابق ذكرها وصاريف هذا الصندوق للاشغال العموميّة كالجسورة وغيرها

١) وقد دللتُ بنجمة على الطرق التي جرى فيها الشغل وتنتهي قريبًا او التزمها الملازمون ضارنًا الصفح عن سواها وان جرى الباحث في فتحها

٤ قضاء الشوف

	امتار
* سكّة مجدل معوش	٨,٠٠٠
* من جمهور الى بسوس	٤,٥٠٠
من عزرونية الى عين دارا	٢,٠٠٠
* من المعاصر الى الباروك	٨,٥٠٠
* من كفرمتّى الى عبيه فكفرنطرا فعين معاصر فبعقلين فعين بال	١٠,٠٠٠
من عاليه الى عين تراز	١٢,٠٠٠
	٤٧,٠٠٠

٥ قضاء البترون

	امتار
من مار يوحنا مارون الى تناة	٢٧,٠٠٠
من البترون الى اده فجران	١٣,٠٠٠
من ايون الى دوما	١٦,٠٠٠
	٥٦,٠٠٠

٦ قضاء جزين

	امتار
* شعبة من بكاسين	٤,٥٠٠
* شعبة من كفر حونى	٨,٥٠٠
شعبة من حيطوره	٣,٥٠٠
	١٦,٥٠٠

٧ زحله

	امتار
شُعب مختلفة في البلدة	١٠,٠٠٠
فيكون المجموع	٢٨٠,٤٦٠

فترى من هذه القائمة انَّ لبنان سيحصل قريباً على مشبَّك من الطرق المتواصلة يكون مجموعها نيفاً على الف كيلومتر وهذا مما يستحقُّ الثناء والشكر لاولي الامر. وان قابلت بين هذه الطرق ومساحة لبنان وجدت انَّ كلَّ ثلاثة كيلومترات مربعة ونصف يوازيها كيلومتر واحد من طرق العجلات بنسبة كيلومتر لكل ٤٠٠ نفس

بعض ملحوظات في الطرق اللبنانيَّة

ليسمح لي القرّاء ان أُلحق بالجدولين السابقين بعض ملحوظات لحظتها بخصوص الطرق اللبنانيَّة: قبل خمس عشرة سنة قام احد اعيان قضاء المتن وهو المرحوم يوسف الزغزغي فنوى خيرًا لقضائهِ واراد ان يزينهُ بطرق شابكة تمتدُّ في انحائهِ فنال الرخصة لذلك من مجلس الادارة . وشرع بتحقيق امنيَّتهِ وجرى على الامر بثبات عجيب ربما بلغ اقصى مرغوبهِ حتى تعددت في قضائهِ الطرق وحسدتهُ في ذلك بقيَّة النواحي . ولم يكتفِ المذكور بتخطيط هذه السكك حتى فتح لها منفذًا في الانحاء المجاورة فانَّهُ ممَّن سعوا بفتح طريق المديرج وعين زحلتا وبيت الدين اتمامًا لطريق حمَّانا . وهذه الاعمال النافعة التي جرى فيها الفقيد على رسم معلوم واتمها بدقَّة ورويَّة قد أكسبتهُ في لبنان شهرة واسعة في حياتهِ وقد تضاعف ثناء مواطنيهِ عليهِ بعد وفاتهِ

وقد حرّك هذا المثل عددًا من اهل لبنان على اقتفاء آثارهِ فصار كثيرون يحاولون تمهيد طرق جديدة في انحاء شتّى دون التحرّي الكافي والتروّي الواجب حتى بالغوا في الامر وتجاوزوا الحدود . ومثال ذلك انّ قرية عين عار متّصلة اليوم باربع طرق مختلفة تنتهي الى اربع قرى (١ فان طريقين على الاقلّ بين هذه السكك الاربع لا فائدة منهما . واعجب من هذا انّ البعض يريدون فتح طريقٍ خامسة طولها اربعة كيلومترات . وكذلك ما الفائدة من شعبة مكين الى المروج التي تبلغ اربعة كيلومترات وهي سائرة بموازاة طريقٍ اخرى على مسافة ٥٠٠ متر منها . ولو اردنا لضربنا امثالًا اخرى متعدّدة على صحّة قولنا . وهذا امري غلوّ وخلل تستلفت اليهِ انظار الحكومة اللبنانيّة لما ينجم عنهُ من المضرّات للخواصّ وللعموم معًا اذ لا تلبث هذه الطرق ان تخرب وتزيد بذلك النفقات والضرائب على الاهلين والأولى ان تُصرف هذه الدراهم بما هو اجدى نفعًا

وممّا يُستغرب ايضًا انّ هذه طرق العجلات لا تفيد الّا القليل لنقل الاثقال فان اكثر اللبنانيين يفضّلون على العجلات متون البغال والحمير مع انّ حملها تكلّف اكثر من النقل على العربات لان الطنّ على العربات يكلّف ٢٥ بارةً في كلّ كيلومتر وعلى الدوابّ يكلّف قرشًا ونصف بل قرشين . فليت شعري اليست اوّل فائدة طريق العجلات نقل الاثقال وتسهيل المواصلات التجاريّة بين الانحاء . امّا اتّخاذها لركوب المتجوّلين فانّ هذا امرٌ ثانويّ منفعتهُ قليلة زهيدة . وعندي انّ طرق المتن اضحت اليوم زائدةً على حاجة السكّان والخوف كلّ الخوف ان تخرب قبل ان تُصلح

وممّا يجب اعتبارهُ في امر الطرقات التي عليها معوّل الحياة اللبنانيّة ان يوضع لها رسم يتّفق عليهِ وكلاء نواحي لبنان فتعمّ منفعتها الجميع . وهاءنذا برسم اعرضهُ هنا وفيهِ على ما اظنّ ما تعمّ فايدتهُ كلّ انحاء لبنان

قد كاد ان يتمّ قريبًا تخطيط الطرق الساحليّة وعمّا قليل تسير العجلات من

---

١) وهذه الطرق هي اوّلًا طريق مزرعة الشمار الى عين عار ثمّ طريق قرنة الحمراء اليها ثمّ بيت شباب اليها واخيرًا طريق جورة الزيتون الى عين عار فبكفيا . واليوم يريد البعض اصطناع طريق خامسة من عين عار الى مزرعة يشوع . وكلّ يعلم انّهُ لا تسير في السنة اكثر من خمس عجلات على شُعبتَي عين عار الى بيت شباب ثم عين عار الى قرنة الحمراء . فينتج من ذلك خراب تلك الطرقات وزيادة في مصروف الناقمة دون فائدة

صيداء الى بعبدا ومن بيروت الى طرابلس . وكذلك الشغل قائم على ساق لتتمَّة طرق صيداء فجزين فبيت الدين فمديرج فحمَّانا فبسكنتا وطريق طرابلس الى زغرتا فبشرّاي فحصرون فحدث الجبَّة . فيبقى ان يُوصل بين بسكنتا وحصرون فبشرّاي بمواصلة خطّ افقا وتنُّورين والحدث . ولا بُدَّ ايضاً من فتح ثلاث طرق اخرى وهي سكة حالات الى قرطبا ثم سكة جبيل الى دوما فتنُّورين ثم سكَّة البترون الى قنات التي انتهى منها قسم الى مار يوحنا مارون (١ . فيكون مجمل الطرق اللازمة لقضائي كسروان والبترون ١٥٠ كيلومترًا وهما افقر الى هذه الطرق من سواهما بالنسبة الى مساحتهما وشأنهما . ومن اراد ان يعرف ما لهذه الطرق من الاهميَّة فعليهِ بالخارطة التي علَّقناها على هذه المقالة فيتحقَّق انَّ هذه السكك تكمّل السكك المنتهية وتزيدها نفعًا

ونرى ما عدا ذلك طريقًا اخرى يحتاج اليها اهل الجبل وهي طريق بعقلين الى دير المخلص عند نهر الاولي يبلغ طولها ٣٠ كيلومترًا . ومن منافعها انَّها تقوم بخدمة جنوبي الشوف حيث يوجد اكثر من ٣٠ قرية بعيدة عن كلّ طريق مطروقة . امَّا الطريق التي يطلبها البعض من السعديات الى بعقلين فانَّها تسير في امكنة خالية من السكَّان فضلًا عن انَّ الطريق بين دير القمر والدامور تسدُّ مسدَّها ولا نزيد بما سبق ان نجعل الطريق بين حالات وقرطبا وبين جبيل وتنُّورين ودوما طرقًا اجباريَّة لا يُستغنى عنها فانّنا نعلم انهُ يمكن ايضاً تخطيط طرق غيرها كخطّ قرطبا وغزير وجونية لكنَّنا نرى الحاجة ماسَّة الى فتح طرق داخليَّة الى النقط المذكورة اعني الى قرطبا وتنُّورين وقنات

نظارة الطرق واصلاحها

يتَّفق الرأي العام على وجه الاجمال بان طرق لبنان وان كانت غير محكمة العمل لقلَّة الثمن المدفوع في اصطناعها من ١٠ الى ١٥ قرشًا (والمعدَّل ١٢ قرشًا ونصف) لكنَّها تُحفظ في حالة مرضية من الاصلاح . امَّا طريقة اصلاحها فهي عندنا مختلَّة وتعليلهُ ايضاً قلَّة ما يُدفع في حقّ العمل اعني من اربعة الى سبعة قروش للمتر المربَّع وذلك لتحصيبها ولتوثيرها بالحالة (المحدلة) وترميمها . وهذا لعمري خلل واضح لأنَّ الملتزمين باصلاح الطريق لا يمكنهم القيام بالعمل الَّا بالخسارة . فانَّ المتر المربَّع يحتاج

١) اني قد سبقت الى تخطيط الطريق بين حالات وقرطبا منذ سنتين ونصف . والطريقان حتَّى الآن لم ينفذ الامر في مباشرة عملهما ولا نعلم السبب

الى مقياس من الحصى يبلغ ٨٠٠ سنتمتر مكعَّب وتساوي الكيلة من ٥ الى ٧ قروش فكيف يمكنهُ ايضاً ان يصلح الطريق ويفرشها بالحصى ويجيز المحالة فوقها لتوثيرها بثمن يتراوح من اربعة الى سبعة قروش . فتكون النتيجة من هذا الخلل انَّ الملتزم بالاصلاح لا يمكنهُ باتمام الشروط فيعوّض عن الخسارة بارباح اخرى يكتسبها خفيةً . فترى انَّ الامر يستدعي نظر الحكومة اللبنانيَّة

والاولى عندنا ان يُدفع اصلاح طرقات كلّ ناحيـة لاشخاص معلومين يلتزمون العمـل لمدَّة خمس سنوات بثمن مقرَّر . مثالـهُ طريق البترون الذي يبلغ ١٢٠ كيلومترًا فان اردتَ اصلاحهُ لمدَّة خمس سنوات امكن الامر بان يصرف على طول كلّ متر ستة قروش تعديلًا فيكون مبلغ المصروف لخمس سنوات ١٢٠,٠٠٠ × ٦ = ٧٢٠,٠٠٠ قرش اعني سبعة آلاف ليرة عثمانيَّة . فانَّ المشروع على هذه الصفة وبهذه الشروط اوفق ما يكون لنوال المرغوب لا بل قد رضي بعض الملتزمين أنْ يتخلَّوا عن خمس هذا المبلغ بل عن ربعهِ الى حدّ ثلثهِ . لكنَّ البعض من اصحاب الغايات اعترضوا على ذلك فبقي الامر على خللهِ . وعندنا انَّـهُ لا بُدَّ من اعادة النظر في هذا الصدد وتحويرهِ كما قلنا

اصلاح تخطيط بعض الطرق

هذه ملاحظة اخيرة في صدد الطرقات اللبنانيَّة نريد اصلاح تخطيط بعض الطرق السابقة التي لم يُحسن المهندسون رسمها او اضطرُّوا الى عملها على الصورة الحاضرة

١ اوَّل طريق يقتضي تحوير رسمها الطريق الجارية من بيروت الى بيت مري فبرمَّانا فبعبدات فصليما الخ فانَّها طريق مهمَّة في لبنان ينتفع بها كل قضاء المتن ولكن يمكن اختصارها وتقصير مجراها وذلك بان تُصنع لها شعبة من محلّ دكان ثابت فتجرى على منعطف الجبل الى روميَّة فبرمَّانا . ومن برمَّانا تنحدر الى سفيلة عند جسر صليما وهلمَّ جرًّا فهـذه الطريق توفّر على الركَّاب كيلومترين ونصف في القسم الاوَّل ثم ٣ كيلومترات في القسم الثاني مجموعها خمسـة كيلومترات ونصف تقطعها العجلات في تورييات وتعريجات لا فائدة منها . وبذلك تهمل طريق جديدة الى روميَّة التي اصطنعها اهل رومية على نفقتهم دون منفعة . فانَّ المكارين انفسهم يعدلون عن هذه الطريق كما انهم يحيدون عن الطريق بين برمَّانا وبعبدات التي ساء تخطيطها . وان جرى

الاصلاح الذي نشير اليهِ انتفع منهُ اهل المتن الاعلى كلهم كرأس المتن وصليما وعربانيّة وبزبدين وكتيسة الخ لانهُ يقربهم الى بيروت بمسافة لا تقل عن خمسة كيلومترات توازي ساعةً على العجلة

ومن فوائد هذا الاصلاح انَّ اهل رأس المتن يكونون في غنًى عن طريقٍ يريدون فتحها من قريتهم الى جسر الباشا على طريق المنصوريّة وكتيسة . واني قد تعرَّضت لهذا المشروع الذي نواهُ اهل الرأس فنقموا عليَّ بسببهِ . وانما عارضتهُ لانهُ يكلّفهم ٦٠٠٠ ليرة يصرفونها في طريق ليس فيها احد من السكّان وهي تمرّ بين الصخور الصمّا . وكلّ ذلك ليكسبوا ساعة من الوقت في سيرهم الى بيروت . وزد على ذلك انَّ اهل الرأس لدفع هذا المبلغ العظيم يفكّرون في ايجار غابتهم الجميلة لمدَّة خمس سنوات . فلا ريب ان المستأجرين يقطعون كلّ اشجارها (١

٢ ويوجد طريق اخرى تستدعي اصلاحًا في تخطيطها وهي الطريق بين قرنيه وقبيع وحمّانا . فانَّ مسيرها ينافي كلّ قواعد الهندسة ولهذه الطريق شأن عظيم وبها ستتّصل طريق عين موفق وقبيع . والعجب من هذه الطريق انها تصعد وتصوّب وترتفع وتهبط في مشارف ومهابط بدلًا من ان تسير في طريق مستقيمة على خطّ سويّ . وذلك ممكنٌ باصلاح رسمها

هذا ما عنَّ لي بخصوص الطرق فاعرضه لاهل لبنان علّهم ينتفعون بهِ . ولكن لا يغترّ البعض منهم الذين يظنّون انَّ فتح الطرق يسدُّ كلّ حاجاتهم ويضاعف ثروتهم فانَّها على خلاف ذلك تكلّفهم التكاليف العظيمة لاصطناعها ولترميمها . اما المنافع منها فمحصورة في بعض التسهيلات والتحسينات المادّية . ومن ثمَّ ينبغي لهم ألّا ينقادوا لاصحاب هذه المشروعات التي تستفرغ اكياسهم في جانب امرٍ عرضيّ وكان الاولى بهم ان يصرفوا دراهمهم بما هو اصلح لخيرهم (لها البقيّة)

---

١) وانا اشير على اهل رأس المتن ان يصرفوا المبالغ التي يكسبونها من غابتهم لجلب الماء الى قريتهم وهم اليها في غاية الحاجة . فكيف يا تُرى يذهب الى قريتهم المصطافون كما يؤمّلون وليس عندهم ماء شروب

بصر الحيوان البحري في اعماق البحار

للدكتور كونيغ طبيب امراض العيون في بيروت (تتمة)

انَّ العيون في جسد الحيوان بمثابة بقيَّة الاعضاء. والجوارح اذا دأبت في العمل وواصلت الارتياض زادت قوَّتها بشرط ان تكون في الاحوال الملائمة لعملها اعني أن ينفذ النور الى ابصارها. وقد سبق انَّ نور النهار لا يتجاوز عمق البحر ما وراء ٦٠٠ متر وقد وجد العلماء عدداً كبيراً من الحيوانات لاسيَّما الصلبة الجلد العائشة في قاع البحر فاقدة البصر تماماً ليس فيها البتَّة اثر للعيون. ومن عجيب ما وجدتهُ البعثة الالمانيَّة من هذا القبيل سمكةٌ على عمق ١٢٨٩ باعاً كانت مكفوفةً ليس لها من العيون الَّا شبه مرآتين مقعرَّتين

وممَّا لا يشكّ فيهِ احد انَّ حاسَّة البصر في حيوانات اعماق البحار على غير حالتها في الحيوانات البرّيَّة. وقد دلَّ على ذلك تشريح هذه الاسماك فانَّ عيونها كانت تظهر في الغالب على شكل وشيج صفيق اللحمة فيهِ عصب كبير ذو شُعَبٍ عديدة تمتدُّ الى كلّ جانب. وكذلك الحيوانات المطلقة الحركة التي تعيش في اقعار البحار فانَّ تركيب عيونها في الغالب ناقص مختلّ

هذا وان تقصَّتَ الى اعماق البحر حيث لا يبلغ البتَّة نور النيّرات وجدت حيوانات اخرى تعيش كما قلنا وتنمو في تلك الاعماق وتقوم بكل حاجات حياتها. نعم انَّ هذه الحيوانات قليلة العدد بالنسبة الى المواليد التي تُرى في طبقات البحر العليا الَّا انَّها ذات عيون كبيرة متَّسعة فهذه العيون دليل قاطع على انَّ اصحابها متَّصفون بالنظر وانَّ النور يبلغها وهذا النور ليس هو النور الخارجيّ الذي لا ينفذ كما سبق القول الى ما وراء ٦٠٠ متر. فلا يبقى الَّا كونهُ نور آخر مصدرهُ غير مصدر نورنا. وهاءنذا نحن نورد هنا كلاماً لاحد ارباب الطبيعة اسمهُ بولشي (Boelsche) وصف فيهِ تلك الحيوانات وضياءها على طريقةٍ مؤثرة فقال:

«ها نحن قد بلغنا قعر الاوقيانوس. فانَّ عيننا لا تبصر شيئاً البتَّة لأنَّها محدقة بظلمات مدلهمَّة بينما تدحض الاقدام في مزلجة من الحمأة اشتدَّت برودتها فصارت كالثلج.

ونحن كذلك اذ لاح لنا عن بعد وميض نورٍ يضرب الى الزرقة . وما لبث حتى ازدوج النور ثمَّ أثلث وأربع وصارت هذه الضياء تتحرَّك وتختلط وتتلاعب امامنا على صورة عجيبة . وكنَّا ننظر الى هذا المشهد البهيّ واذا بنور اعظم أُشرب حمرةً وخضرةً توسط بين الضياء اللائحة فانطفأت كلها لدى سطوعهِ . فخطر على بالنا أنَّ هذا النور الجديد انَّما هو حيوان طالب رزقٍ جاء بفانوسهِ الى تلك الجهات يطاب صيداً بين الاسماك الصغرى او خاناه ُكمعدّنٍ يحمل بمصباحهِ في باطن الارض ليبحث عن جواهرها وبعد هنيهة توارى الحيوان عن العيان وعدنا نتسكَّع في الظلمة . ولكن هاءنذا بانوار أُخرى تسطع فما هذا؟ هي شُجيرة من النور ذات افنان وغصون منوطة بها شبه اثمار خضراء شفَّافة ينفذ من وسطها نور في بياض الحليب . . . ثم ظهرت لنا على ضوئها نجمة بحريَّة تشع بضيائها فترى كلّ شُعَبها ومفاصل اعضائها في غاية الحسن والبهاء . . ثم رأينا في وسط الغمر اسماكاً سوداء تتمثَّل اشباحها في حال البحر . . . ثم تباعدنا قليلاً فخيَّم علينا الليل مرَّة اخرى وانَّما كنَّا ننظر عن بُعد اضواء تبرق وحيوانات تسير مرسلةً اشعَّتها الذهبيَّة في كلّ طريقها وقد التأم حولها عدد من الاسماك السابحة لمرافقتها . . .

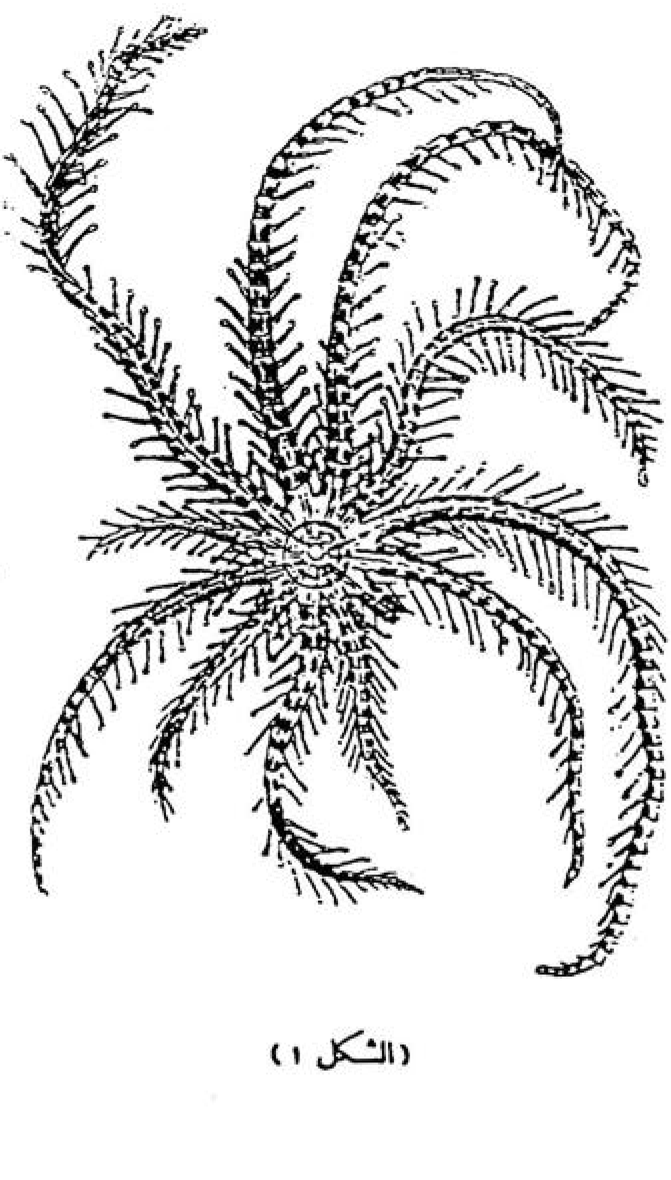
« يا لله ما هذه المناظر الفتَّانة أنحن في قاع البحر؟ أوَلسنا في حوضٍ منير تسكنهُ الحيتان وتسرح فيهِ النينان والنور ينبعث من اجسادها . . . ؟ من يفكُّ لنا هذه الاسرار الغامضة؟ سكّن الجأش . . صهْ وهدّئ روعك . فهاهوذا تفسير اللغز انك حالمٌ في عالم لم تعرفهُ قبلاً . هذه حيوانات قعر البحار هذه مواليد اعماق الاوقيانوس من اسماك وزحَّافات ونجوم بحريَّة واشجار المرجان وكلها تتلألأ وتتألَّق وترشق بانوارها وربَّما سطعت نوراً فانتشرت ضياؤها بهاء عظيم

« وان طلبت جبابرة البحر دونك بحوتٍ كبير يسكن في عمق خمسة آلاف متر يدعونهُ مالوكوستيوس (Malocosteus) وهو ايضاً لهُ نورهُ الخاص وذلك عبارة عن مصباحين احدهما قريب من عينهِ تحتها وهو ذو نور احمر ساطع . والآخر اصغر موقعهُ في احد اقعار جسدهِ ينبعث منهُ نور اخضر كالزمرد . وان شئت انواراً زرقاء فاليك باسماك اخرى تجدها هناك يدعونها اكيوستوما (Echiostoma) وهاءنذا بسرطان عظيم يدعونهُ غرنالين (Garnelenkrabs) على جسمهِ شبه الدرع يشعُّ كالنيران ويرشق بشبه البنادق والسهام الناريَّة بين خضراء وحمراء وبيضاء وانوارهُ

تنعكس الى الجهات السُفلى فتنيرها . . . ولكن ها ندا بظاهرة اجمل وابهى . قد اقتربت من السرطان فرقة من الاسماك السوداء المدادية اللون تبدو صغيرة ثم تتمدَّد وتكبر وتبسط اجنحتها ولكلّ سمكة ٢٤ نقطة نوريَّة ساطعة ذات الوان شتّى تزين اجسادها . ولها حول كل عين كقلادة من اللؤلؤ الازرق اللازوردي

ذلك هو الوصف الدقيق الذي سطَّره « بِلشي » لسكّان قعر البحار وليس وصفهُ خياليًا او مختلقًا فريًا بل هو عين الصواب مبنيّ على العلم الصادق . ونزيد عليهِ ذكر بعض اسماك غريبة او حيوانات جليلة اقتنصوها في قاع البحر منها نجمة بحريَّة وُجدت في عمق ٨٢٠ باعًا يدعونها بلسان العلم بزنغا (Brisinga elegans) وقد اثبتنا صورتها (الشكل ١) . ومنها ايضًا سمكة أخرى لها في مقام العيون سياقٌ من الحواس البصريَّة تراها على شبه السلسلة وموقعها في اسفل جسمها وكلها مضيئة . وترى على خلاف ذلك عددًا من الاسماك التي ليس فيها اثر لهذه المصابيح المنيرة

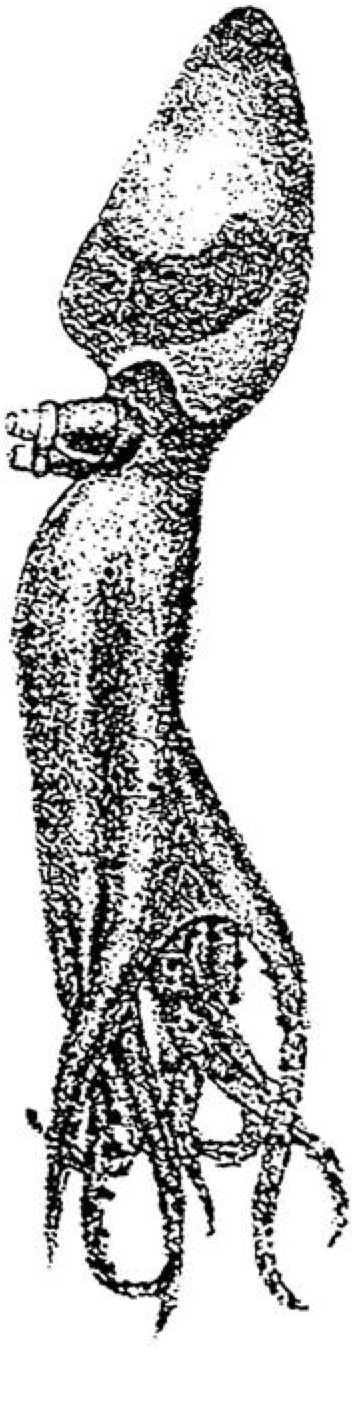
وممّا وُجد ايضًا في الاوقيانوس القطبي الجنوبيّ سمكة حالكة اللون تُدعى انوبلوتوتيس (Enoplotheutis diadema) وكل صدرها مجهَّز بادوات نوريَّة وُجدت على عمق ١٥٠٠ متر قريبًا من جزائر بنوخ (Benoch)



(الشكل ١)

والعجيب في امر هذه الحيوانات انَّ اجهزتها النورية طوع ارادتها توقدها ان شاءَت وان شاءَت تطفئها كما يفعل ارباب المراكب الحربيَّة بانوارهم الكهربائيَّة يرسلونها متى شاءُوا ليطَّلعوا على العدوّ او يخفونها لعدم حاجتهم اليها فكذلك تفعل هذه الاسماك بانوارها فانَّها تستضيء بها لطلب صيدها او تواريها اذا لم تشأ بان عدوها يراها . ووجود هذه الاجهزة النوريَّة يعلّل لنا السبب الذي لاجلهِ خصَّ الباري كثيرًا من حيوانات اعماق البحار بعيون متَّسعة كبيرة مع خلوها من نور السماء في تلك الاغوار

ومن نوادر تلك الحيوانات البحريَّة التي تسرح في اقاصي اعماق البحر انَّ عيون البعض منها ناتئة صارت على شكل النظَّارة او تكون عيونها منقسمةً في وسط وجهها وعلى جانبيها . فالعيون التي هي في وجه الحيوان تعينهُ على نظر المنظورات المتحركة اما العيون التي على جانبي رأسهِ فانها اصلح لنظر الاشياء الدقيقة . وقد نشرنا هنا صورة سمكة (انظر الشكل ٢) ترى فيها العينين ناتئتين كالنظَّارة يحركهما الحيوان تارةً حركةً افقيَّة وتارةً حركةً عموديَّة . ومثلها سمكة وجدت على عمق ١٨٠٠ باع عيناها ينتصبان كنظَّارة فلكيَّة



(الشكل ٣)

واعلم انَّ موقع عيون هذه الاسماك يكون عادةً قريبًا من فيها . امَّا الحيوانات التي تعيش عيشةً هادية ولا تحتاج الى الحركة لطلب معاشها فانَّ اجهزتها البصريَّة منقسمة على كلّ جسمها . وترى لغيرها جهازًا على شبه القرنيَّة شفَّافًا موقعهُ في اعلى رأسها

وان سألت هل من نسبةٍ بين افواه هذه الاسماك

وعيونها. أجبنا بالانكار لانك تجد حيوانات كبيرة الفم صغيرة العين والعكس بالعكس

فمَّا سبق تنظر انَّ اغوار البحار التي تأخذ زرقتها بمجامع قلبنا ليست بخالية من الحياة والحركة. وانَّ في تلك المفاوز الواسعة بلاطاً فخيماً شادهُ الرحمان لألوف من الحيوانات جهَّزها بادوات عجيبة من النور وخصَّ بعضها بالعيون الكبيرة وبعضها بالعيون الصغيرة وكلّ ذلك لبلوغ غاية واحدة حفظ اجناسها والدفاع عن حياتها. سبحان مكوّن الكائنات

الدم: تركيبهُ وخواصُّهُ

للاب بولس بوفيه لاپيار اليسوعيّ مدرّس الكيميا في المكتب الطبي

قد غلب على ظنّ البشر منذ الوف من السنين بان مبدأ حياة الحيوان في دمهِ. ولو رجعنا الى اقدم كتابٍ سطَّرهُ البشر بالهام من الله لوجدنا اثرًا لهذا المعتقد. فانَّ موسى الكليم في سفر التكوين (٣:١٠) اشار الى ذلك في ذكر موت هابيل اذ يجعل على لسانهِ تعالى قوله الى قايين: «ماذا صنعت ان صوت دماء اخيك صارخ اليَّ من الارض» فكأنهُ عزَّ وجلَّ نسب الحياة كلها الى الدم. واصرحُ منهُ ما ورد في سفر تثنية الاشتراع (١٢:٢٣) اذ نهى موسى عن أكل الدم لأنَّ فيهِ نفس الحيوان. قال: «اياك ان تأكل الدم فانهُ نفسٌ فلا تأكل النفس مع اللحم»

وكما شاع هذا في شعب الله شاع ايضاً بين الامم فربَّما ورد في اقوال حكمائها وقصائد شعرائها ما يثبت هذا الاعتقاد. فترى مثلًا في شعر اوميروس انَّ عوليس اذ انحدر الى الجحيم ليستفتي في امورهِ روح احد الموتى وهو الكاهن تيراسياس لم يمكنهُ ان ينعشهُ من خمودهِ الَّا بان قدَّم لهُ دم الذبائح فلمَّا استنشقتها روحهُ انتعشت واجابت سؤالهُ. وكذلك شاعر الرومان ڤرجيليوس وصف في حريق مدينة طروادة ابن الملك پريام وهو يسقط جريحاً بين ذراعي والديهِ «وحياتهُ تتوارى مع عيط دمهِ» ويعيد مثل هذا القول في ذكر وفاة الملك پريام حيث يقول اينياس: «ورأيتُ الملك يفيض بنفسهِ مع تفجُّر دم جراحهِ»

فلعمري انَّ في هذا الاتفاق العجيب لدى امم مختلفة دون تواطؤ بينها لدليلًا على إمكان الامر وعلى قربهِ من الحقيقة لرسوخهِ في الاذهان. نعم انَّ بعض العلماء في القرون المتأخرة انكروا ذلك وزعموا ان الحياة تقوم خصوصاً بالجهاز العصبي وان للدم فعلًا ثانويًا. لكنَّ المتأخرين من علماء تركيب الاحياء عادوا اليوم الى اثبات معتقد العموم في مقام الدم وعظم شأنهِ في حياة الحيوان حتى اثبتوا بانهُ هو العامل الاكبر في الانسان وفي حيوانات الطبقات العليا. ومقصودنا في هذه الاسطر ان نذكر خلاصة الاكتشافات الاخيرة في هذا الصدد. ولا ينتظرنَّ القارئ منَّا كلاماً مستوفياً في ذلك لانَّ درس خواص الدمَ في كل تفاصيلهِ يستدعي وحده مجلَّدات ضخمة هو في غنًى عنها

*

وها نحن اولًا نقدّم على تعريف مركّبات الدم بعض ملحوظات تبيّن فعلهُ في الجسم الآلي

كلٌّ يعرف انَّ الحيّ لا يمكنهُ ان يصون حياتهُ الّا اذا وُجد في شروط ملائمة لها في وسط عناصر خارجيَّة كالماء والاوكسيجين ينال منها غذاء وقوَّة لانَّ قوام حياتنا بالقوَّة والقوَّة تأتيها من عمل ادواتها المتواصل لكنْ هذا العمل اذا تمَّ اضعفها فلا بُدَّ لها من غذاء يسدّ هذا الخلل في كلّ ساعة على مثال الآلة البخاريَّة التي لا تُسخِن الماء لتحوّلهُ الى بخار الّا على شرط أن تُطعَم فحماً فان قُطع عنها الفحم خمدت حرارتها وبطل فعلها

وان بحثت عن اسباب الغذاء في الحيوان وجدتها انها تختلف على اختلاف طبقاته فلنعتبرنَّ اولًا الحيوانات الدقيقة التي لا تُرى بمجرَّد النظر وتتركب من خليَّة بسيطة او من نقيطة من المادَّة الحيويَّة فانَّ هذه الكائنات الحيَّة تُدعى بالحيوانات الاوليَّة (protozoaires) وهي ادنى الحيوانات رتبةً وابسطها بناء. فغذاؤها تستمدُّهُ من الوسط الخارجي الذي يطيف بها فان كانت مثلًا في الماء امتصّت منهُ توًّا ما تحتاج اليهِ لمعاشها من اجزاء جامدة او مائعة او غازيَّة ثم تنفي عنها فضلات غذائها كالحامض الكربونيك المضرّ بكيانها فهي تتنفَّذ دون ان يحول دونها مانع

اما الحيوانات ذات الطبقة العليا التي يتألف جسدها من مجموع لا يُحصى من الخلايا فانَّ تغذيتها اصعب من ذلك لأنَّ قسماً واحدًا من جسمها عن الوسط الخارجي

اما معظم خلاياها فهو محجوز عن مائية الهواء وعن اوكسجينهِ فلا تستطيع ان تستمدَّ غذاءها من الخارج ولا ان تُفرز عنها الفضلات التي تسمها . ومثل الحيوانات الأوَّليَّة والحيوانات الاخرى كمثل رجلين احدهما يتصرَّف بامورهِ كيف شاء فيحصّل معاشهُ في الحقل او من الاثمار ويشرب الماء في معينهِ فكذلك الحيوانات الأوَّليَّة ذات الخلايا البسيطة . والرجل الآخر ملقىً في الحبس لا يستطيع ان يتصرَّف بحركاتهِ لينال قوتهُ فيحتاج الى من يأتيه بهِ ومثلهُ الخلايا الداخليَّة في الحيوانات الراقية فأنها تفسد ان لم يتجدَّد الهواء الذي يحيط بها

فترى من ثمَّ انَّ الخلايا التي موقعها في باطن جسم الانسان والحيوان ذي الرتبة العليا لا يمكنها ان تعيش لابتعادها عن الوسط المغذي لها فلا بُدَّ لها من خدمٍ يخدمونها فيأتون اليها بالغذاء . وليس هؤلاء الخدم سوى خلايا اخرى مختصَّة لهذه الغاية تتوسَّط بين الخارج وبين الخلايا الباطنة وينبغي لهذه الخلايا المتوسّطة ان تكون حرَّةً متحرّكة في مائعٍ كالسمك في الماء . ويجب للمائع المذكور مع ما يدخلهُ من الخلايا ان يدفعهُ جهاز خصوصيّ اعني القلب الذي يشبه المضخَّة في امتصاصها وضغطها فيجري المائع ذهاباً واياباً من الخارج الى الباطن ومن الباطن الى الخارج

وللخلايا المتحلّة في المائع مهمَّات مختلفة فمنها ما يدَّخر الاوكسيجين ليغذي بها الخلايا الباطنة ومنها ما يبيد الخلايا الميّتة ويفرز العناصر الضارَّة من الميكروبات وغيرها التي تمكَّنت من النفوذ الى الباطن فهي في الجسم بمنزلة المنظِّف والحارس لدفع العدوّ وقهرهِ

ومن خواصّ المائع التي ذكرناها انهُ ينقل ما انهضم في القصبة الهاضمة . وهو ايضاً الذي يدفع في مجراهُ فضلات الغذاء كالحامض الكربونيك والبول وغير ذلك مما تفرزهُ من الجسم بعض الاعضاء الخاصَّة كالكلى للبول والرئة للحامض الكربونيك . كما ترى في كبار المدن البواليع تسحب الاوساخ فتدفعها الى البعيد

فالفضل اذن لهذه الخلايا المتحرّكة والمائع الذي تجري فيهِ ان كانت الخلايا الداخليَّة تستطيع ان تحيا بعيداً عن الهواء اذ تجد فيها وفي مائعها ما يمكنها من تجديد قواها وانماء حياتها . فطالما هذا المجرى لا ينقطع تبقى الخلايا الداخليَّة في عافيتها . فان وقف وقفت حركتها فماتت

وان سألت ما هي هذه الخلايا النقَّالة للموادّ الغذائيَّة والمجرى الذي تسيل فيهِ اجبنا انهُ الدم. فهو هو الوسط العظيم بين العالم الخارجيّ وبين اجهزة الحيوان الداخلية وعليهِ مدار كلامنا في هذه المقالة

تركيب الدم

ان عمدت الى نقطة من الدم عند خروجها طريئة من شريانات الحيوان وجدتها جسماً سيالاً كثيفاً شديد الحمرة تختلف حمرتها فتكون هذه الحمرة تارةً قانئة وتارةً كمدة وحيناً نصَّاعة صافية. ونصوعها من غلبة الاوكسيجين عليها وان خلت منهُ كمدت واسودَّت . وان لمستَ الدم شعرتَ بدسمٍ وان صببتهُ سال كسيل الزيوت بنوع من الدهنيَّة. ومن خواصهِ انهُ اذا وقع على اي جسم كان بلَّلهُ سواء كان زجاجاً او معدناً او راتينجاً او عنصراً دسماً . بخلاف الماء والزيت وغيرهما فانَّ هذه الموائع لا تبلّ كلّ ما تمسُّهُ . اما رائحة الدم فهي خفيفة تفهة خاصَّة بهِ لا يمكن تعريفها بالمقابلة مع غيرها ان لم يشمَّها الانسان. وكذلك ذوق الدم فانهُ تفه فيهِ ملوحة. وثقل الدم يكاد لا يختلف عن ثقل الماء فان معدَّل ثقله يبلغ ١,٠٥. واذا أُهمل الدم الى ذاتهِ تجمَّد فصار عبيطاً رخواً كالهلام . ثمَّ يجمد فيصير عَلَقةً يطفو فوقها سيَّال لا لون لهُ او ذو لون ورديّ يدعونهُ المصل

هذه ظواهر الدم وخواصُّهُ التي تلوح للبصر لاوَّل وهلة . اما اذا تحقَّقتهُ وتبيَّنتَ خاصيَّاتهِ بالمجهر فانَّ الفحص يؤدّي بك الى نتائج اخرى ذات شأن . واوَّل من فحص الدم فحصاً مدقِّقاً بالمجهر العلَّامة الهولندي لوئنهوك (Leuwenhoeck) سنة ١٦٧٣ فثبت عندهُ انَّ اجزاء مركَّبهِ المائع ليست كلها متجانسة وانَّهُ يحتوي ضمنهُ عدداً لا يُحصى من الدقائق المتشابهة التي تصبغ الدم بحمرتهِ وبعد ذلك بقرن سنة ١٧٧٣ عاد الانكليزي هيوسن (Hewson) الى فحص الدم فوجد فيهِ الكرَيَّات البيض . ثمَّ وجدوا في عهدنا سنة ١٨٧٧ عنصراً ثالثاً يدعونهُ هيماتوبلست (hématoblastes) وهو عبارة عن اجسام دقيقة اصغر من الكريَّات البيض وهذا العنصر حتى الآن لم تُعرف فائدتهُ في الدم ولذلك نضرب عنهُ

فخلاصة القول أنَّك ان فحصتَ نقطةً من الدم بمجهر قويّ بان لك انَّ هذا السيَّال ليس كلُّهُ مؤلفاً من اجزاء حمراء متشابهة بل يتركَّب من مائع خلو من اللون

يدعى بلاسما (plasma) شبيه بالمادَّة الآحيَّة يغوص في وسطها عدد لا يفي بهِ احصاء من دقائق ناعمة مستديرة وهي الكرَيات الدمويَّة الحمراء والبيضاء. والكرَيات الحمراء تُقسم الى قسمين قسمٌ منها وهو الاوفر يشبه دوائر صغيرة مفلطحة مضمومة غالبًا الى بعضها كقطع الدراهم فتلك الكرَيات الحمراء (hématies). وفي وسط هذه الدقائق الحمراء كُرَيات لا لون لها وهي قليلة العدد لا تكاد تظهر للعين لصغرها. فتلك الكرَيات البيضاء (leucocytes)

قلنا انَّ الكرَيات الحمراء كثيرة العدد. وقد أدَّى البحث عنها انهم قدَّروا عددها في كلّ مليمتر مكعَّب من الدم البشري نحو خمسة ملايين. امَّا الكرَيات البيضاء فانها لا تتجاوز في القدر عينهِ ستَّة الاف فتكون اذن النسبة بينهما كنسبة الواحد الى الالف تقريبًا. الَّا انَّ للكرَيات البيضاء مع قلّتها عملًا مهمًّا كما سترى

وقبل ان نسترسل في الكلام عن الكُرَيات الدمويَّة الحمراء والبيضاء نبدأ بذكر المادَّة الآحيَّة المسمَّاة بلاسما. وهذه المادَّة هي قسم الدم المائع السيَّال وفي وسطها تعوم الكرَيات الحمراء والبيضاء. اما مقدارها فيساوي مقدار الكرَيات الحمراء والبيضاء معًا. وهي تتركَّب من قسم من الماء بنسبة ٩٠٠ غرام في الليتر ثم من قسم زلالي من ٧٠ الى ٨٠ غرامًا في الليتر ثمَّ من مادَّة آحيَّة يدعونها الفيبرين او فيبرينوجان (fibrinogène) التي تلعب في تجميد الدم دورًا عظيمًا واخيرًا من املاح شتَّى اخصُّها كلورور الصوديوم وهو ملح الطعام. وبالاجمال يمكن القول انَّ مادَّة البلاسما هي ماءٌ ذو ملوحة خفيفة قد تحلَّل فيهِ شيء من الزلال مع عناصر اخرى

وهذا المحلول المملَّح هو الوَسط الطبيعيّ الذي فيهِ تعيش كلّ وشائج المركَّب الحيواني التي تتشرَّبهُ. ومن هذا القبيل ليس فرق بين الحيوانات البرِّيَّة والحيوانات البحريَّة التي تعيش في المياه المالحة. وكذلك المصل الاصطناعيّ الذي تُحقن بهِ العروق في بعض الامراض لتحليل سموم البدن المتولّدة بفعل الميكروبات وتقوية فعل الكرَيات البيضاء ليس هو الَّا ماء مملَّحًا بنسبة ٦ او ٧ غرامات في الليتر مع شيء من ملح الصوديوم

وهذه العناصر المختلفة التي ذكرناها في مركَّب المادَّة الآحيَّة المعروفة باسم بلاسما تراها في تركيبها على مقادير وانساب ثابتة لكنَّها عند الهضم يدخلها موادّ اخرى غذائيَّة

من الببتون (peptones) والدهون والغلوكوز (glucoses) فهذه المواد المغذية اذا انطبخت طبخاً محكماً نفذت في الغشاء المعوي واختلطت بالدم فتنتقل بمجراه الى كل اعضاء الحيوان وعليهِ فان آحية الدم او البلاسما يشتمل وقت الهضم على مقدار من المواد المغذية اعظم من اقدارها في اوقات الشغل

وزد على ذلك انَّ الدم اذا جرى في احد اعضاء الحيوان يزوّد هذا العضو بنصيبهِ من الغذاء الذي ينقلهُ بحيث انَّ البلاسما يجتاز من جزء الى آخر فاقدًا لقسم من موادهِ المغذية . ويستعيض عن ذلك بما يفرزهُ العضو من الفضلات التي لم يستطع ان يهضمها ولو بقيت فيهِ لأضرَّتهُ وسمَّتهُ اخصُّها المادَّة البوليَّة (urée) فينبذهما في المجرى الدموي لينقلها الى اجهزة خاصَّة كالطحال والكلى الخ فتدفعها هذه الاجهزة الى الخارج بصفة صفراء وبول وغير ذلك

وبين هذه المفرزات التي لا يستطيع الحيوان ان يهضمها موادّ غازيَّة اخصُّها الحامض الكربونيك (CO^2) وهو نتيجة الاحتراق الذي يحصل في كلّ خليَّة من خلايا الحيوان . فقسم من هذا الحامض السامّ يتحلّل في البلاسما وقسمٌ آخر يندمج بالاملاح التي في البلاسما وهو يُدفع الى الخارج عند مرور الدم بالرئة

ومن ثمَّ ترى ان البلاسما يتركَّب من قسم ثابت لا تختلف مقاديرهُ ومن قسم آخر تختلف كميَّاتهُ ابدًا . وعليهِ يتوقَّف مقام الحياة في جسم الحيوان اذ هو وَسَطٌ بين الخارج والباطن فيأتي الاعضاء الباطنة بما تحتاج اليهِ من الماء والغذاء وينفي عنها الموادّ الضارَّة التي لا تستطيع ان تنفيها بذاتها

فبعد هذا الكلام يمكننا البحث عن الكُريَّات الحمراء والبيضاء التي في الدم

(لهُ بقيَّة)

ملاك الرحمة

بقلم الاب لويس فرَّاد اليسوعي

توارت الشمس عن العيان ونشر الشفق انوارهُ الذهبيَّة فكنت ترى حول قصر السيد فرنسيسكو جمًّا غفيرًا من اولي الفاقة واهل الضيق . وكان اذا انفتح باب القصر تظهر الفتاة ايڤون وشارات الحسن تلوح على وجهها وعرف الادب يفوح من كلامها فيخرّ الجمع على قدميها طالبًا من العلي المنَّان ان يحفظها السنين الطوال شرفًا اثيلًا لأسرتها المصونة وعونًا للبائس المنكوب

فكانت ايڤون ابنة الاشراف تتقدَّم نحو كل من الحاضرين وتعطيهِ نصيبهُ من القوت وكان فعلها هذا مقرونًا بشيء من اللين واللطف الجميل الذي من دأبهِ ان يحلّي العطية ويعظّمها في اعين المسكين مهما كانت طفيفة زهيدة ولذا كنت ترى القوم عند انتهاء توزيع الصدقات يرفعون الاكفّ نحو السماء طالبين بصوت وقلب واحد : « اللهمَّ اسبل سترك على اسرة صاحب المنزل » وكانت ايڤون تجيب على صلاتهم : « امين اللهمَّ امين » ثم تدخل من حيث اتت والكل ينصرفون والثناء الجميل ملءُ فيهم

وكان المساء الذي نحن في غضونهِ مغيمًا والسحب تتصاعد الى عنان السماء منذرةً بمطر قريب فخافت ايڤون على اولادها الفقراء كما كانت تسميهم . فما توارت عن العيان وأُغلق باب القصر وراءها الّا واسرعت نحو غرفتها لتلقي اليهم بنظرة اخيرة وهي كذلك اذ لمحت فيما بين الجمع فقيرًا يلبس فروة وفي رجليهِ خفَّان غليظان وعليهِ زيٌّ خشن لم ترَهُ قبل اليوم والامر الغريب انهُ لم يتخذ طريق المدينة بل جعل يطوف حول القصر ويصعِّد النظر فيهِ ويصوّبهُ حتى آب الى نقطة ذهابهِ بإزاء الباب . فرمى هناك عصا الترحاب وتمدّد على الحضيض متوسدًا الحجر

وما زالت الفتاة شاخصة اليهِ مهتمَّة بامرهِ حتى دقَّت الساعة الكبرى منبّهة اهل القصر بقرب ميعاد العشاء . وكانت قد خيَّمت ظلمة الليل وبدأت الرياح تهبُّ من مكامنها والعواصف تثور من مواطنها فتتكاثف السحب اطباقًا على اطباق حتى اذا انشقَّ حجاب الجلَد هطل ماء مدرار سالت بهِ الاودية سيلًا زخرت بهِ الانهار وطافت منهُ مجاري السبل

ثم هدأت زمرة الزوبعة وخفَّ صوت وقع قطرات الماء فسمعت الفتاة الرحومة صوت المسكين القائم على الباب وهو يناجي نفسهُ :

نام الخليُّون من همٍ ومن حزنٍ   وبتُّ من كثرة الاحزان لم انمِ

فازدادت ايڤون رقةً عليهِ واشتغل فكرها بامرهِ فجالت في عالم التصورات علّها تعثر على واسطة تسعف بها هذا المسكين فلم يتيسَّر لها سبيل سوى استعطاف والدها بهذا الخصوص وطلب رضاه عن هذا المنكوب الحظ ولكنها لم تكن بجاهلة ما انطوى عليهِ فرنسيكو من امر ضيافة غريبٍ كهذا . . . طال بها الفكر حتى تاه عن بالها ان دقت ساعة العشاء وسئم ابوها من الانتظار واضطرب على حال ابنتهِ . والحق يقال انها منذ وفاة والدتها كانت ايڤون تحلُّ من ابيها محلَّ الروح من الجسد فعرَّج الى غرفتها ليقف على الامر . فلمَّا لمحت ايڤون والدها الحبيب داخل الغرفة جمعت قواها ورمت بنفسها على صدرهِ وقد اجهشت بالبكاء : والدي اريد ان استمدَّ منك نعمة

قال الاب : وماذا تطلبين ايتها العزيزة ؟

— أتعدني يا ابتاه الَّا تنكر عليَّ طلبي ؟

— فليكن كل ما اردتِ

— اتجاسر ابتِ رغماً عمَّا علمتهُ فيك من الكره لمثل هذا الامر وارغب اليك ان تأذن في ان يأوى داخل القصر هذا المسكين المعرَّض للبرد القارس والمطر الهاطل

— ما انتِ وهذا الرجل ؟ أوَليس يكفينا عبرةً ما لحقنا من المكايد ؟ أولا تدرين كم وكم لنا في هذه البقاع من الاعداء الذين يضمرون لنا الشر ؟ امسكي ابنتي وكفي عن هذا الطلب

ولا لوم في قول الاب هذا فانهُ منذ هجر بلاد ايطاليا واستوطن البرازيل قاسى من غدر الهنود وهجماتهم ما جعلهُ في حذر مبين وبالاخص من يوم ما توعَّدهُ فوريجان شيخ القبيلة بسفك دمهِ مع خطف ابنتهِ وسلب امواله

وكانت ايڤون على وشك ترك قضيتها لما رأت في ابيها من التكرُّه العظيم لمقصدها ولكنها تجلدت فصارت الى الحديث وقالت :

— ما اسرع ما نسيتَ وعدكَ يا ابتاه ! وأي شرّ ترهب من رجل يلبس الاسمال ويتوسَّد الحجر وقد اثقلتهُ الايام وقوَّست ظهرهُ النكبات ؟

— من يعلمنا بخفايا صدره
— ما لنا والقلوب الله اعلم والدي بما انطوت عليه ؟

فاخذ فرنسيسكو يتمشّى مدّة ويتنازع قلبهُ عاملان عامل الحب لابنتهِ من جهة ومن الاخرى عامل الخوف من خيانة اذا ادخل الغريب في بيتـه . لكنهُ بعد قليل قال لايڤون : لقد غلبتِني يا بُنيتي

— أ نعم بك ابًا بل قل غلبتك محبتك للقريب ولعمل الخير. ثم اسرعت للحال الى الفقير وادخلتهُ القصر وسلّمتهُ لڤكتور خادمها مكرّرة عليهِ الوصيّة ان يعتني كل الاعتناء بضيفهـا

امّا ڤيكتور فبعد ان امعن النظر في الضيف كرَّ الى سيدته واجماً فاعلمها انـهُ رأى هذا الصعلوك يطوف حول القصر ويتفرّس فيهِ بنظرٍ حادّ كانهُ يضمر الشر لقاطنيهِ

— طب بالًا يا ڤكتور فانني مثلك لحتهُ حين كان ينظر الى اعالي القصر ولم يكن صنيعه هذا الّا استنجاداً باحد سكّان الدار وطلباً لمأوًى في الليل

قالت ثم رجعت الى ابيها وقد اخذت بمجامع قلبها هزّةُ الطرب فتشاطرا الحديث معًا بعد العشاء حتى اذا ما اوشكت المسامرة على الانتهاء قامت ايڤون حسب العادة واتت بالكتاب المقدس لتقرأ على والدها فصلًا منهُ . فما كان اشدّ فرحها عند ما فتحت الكتاب ووقع نظرها على قول اشعيا النبي هذا : « اذا ابرزتَ نفسك للجائع واشبعت النفس المعنّاة . . . وادخلت البائسين المطرودين بيتك . . . حينئذٍ يتبلّج كالصبح نورك وتزهو عافيتُك سريعًا حينئذٍ تدعو فيستجيب الرب وتستغيث فيقول هاءنذا . . . »

قالت ثم نظرت الى ابيها واذا الدموع تسيل من عينيه فقبّلت يدهُ وقبّل والدُها جبينها الوضّاح وسار كل الى غرفته . فما كان وهنٌ من الليل الّا واُطفئت النيران وروّق الظلام بسوادهِ الحالك على القصر فدخل اهلهُ في السكينة والهدوّ التام

ولكنهُ لو تسنى لعين لحاظة ان تحدق بنظرها الحادّ للمحتَ رجلًا وبيدهِ فانوس صغير يمرّ حثيثًا داخل القصر واذا تتبّعتَهُ في سيرهِ لعرفت انـهُ المسكين الذي اضافتهُ ايڤـون

انكشف شعار الليل وانبثق الصباح على اهل القصر فقام كل ليتعاطى مهمّتهُ واما ابو الفتاة فكان متربّد الوجه لا تستهشهُ المناظر البهيجة ولا يبرّد وهج اضطرابهِ نسيم

الصباح . وكان اوّل ما تفوَّه بـهِ ان طلب من ايثون ان تأتيه بالمسكين الذي قضى الليلة في القصر

— والدي لقد انتهز سكينة الرياح وصفاء اديم السماء فعرَّج الى قريته لانها على ما يزعم على بعد نيف وخمسين ميلاً

فهتف حينئذٍ فرنسيسكو قائلاً : « اشكرك يا الله . . لقد داهمني يا بنيَّة حلم جعلني رهين البلابل بخصوص ضيفك المسكين فخلتهُ يُدخل اعداءنا الوغدة في القصر ليسلمهم ما فيـهِ

— كن مطمئن البال سيدي لم يكن هذا الّا حلم

— اشكرك يا الله

*

مضى على ما ذكرناه ثلاثة اشهر واهل القصر متنعمون بارغد عيش واهناءِ متمسكين بعرى التقوى والاحسان الى المسكين . وكان من عادات ايثون ان تخرج بصحبة ابيها فيقضيان ساعة الاصيل يداً بيد بين حدائق القصر وغابات السلفا (Selva) الممتدة على مدى البصر تكتنف فيها اصناف الاشجار التي يستخرج منهـا اصحاب البرازيل كل ثروتهم وخيراتهم . ولمَّا انتهيا في سيرهما الى جنوب القصر شخصت عين ابيهـا نحو بعض بيوت تستند الى سفح الجبل المشيد في اعلاه القصر فقال : قلبي يحدثني انهُ قد حان وقت الظفر بالعصبة التي تضمر لنا الشرَّ في هذه القرية ولكن كيف الوصول الى اخماد نارٍ اشتعل لهيبها في قلوب همجٍ تسلَّط عليهم شيطان الحقد والغيرة؟

— اذا تيسر لنا القبض على فوريجان زعيمهم تمَّ لنا المرغوب

— كيف نمسكهُ وهو امنعُ من العُقاب ؟

— آه ابي لو سمعت مني وقصدت « باهيا » مركز الحاكم الايطالي وتداولت هناك معهُ في امر القبض على اولئك الاشرار المتمردين لكفاك شرَّهم

— يعزُّ عليَّ ابنتي ان اتركك في هذا القصر المبتعد عن كل عمران

— لمَ الخوف ونحن في قصر اشبه بحصن حريز لا يقوى عليهِ عدوٌّ ؟

— وما يعني الحصن اذا خلا من الجنود المسلَّحة ؟

— جنوده اولادي الفقراء واسلحتهم الصلوة

فلم يتمالك فرنسيسكو مع ما كان عليهِ من التقوى على اخفاء تبسمهِ وعدم ثقته بقول ابنته

— لا تستصغر قولي ولا تستخفَّ برأني أيها الوالد العزيز فان فيهِ بعونهِ تعالى رجاء عظيماً

اجاب والدها: نعم ولعلَّ المثل يصدق فيك: «انَّ الحقيقة على لسان الاحداث»

وكانت الشمس حينئذٍ تميل الى الزوال ويتناقص النهار فتركت ايڤون والدها بعد ان قبَّل جبينها الوضَّاح واعدًا أياها بالعمل طبق مشورتها ومضت الى حيث كانت تلتئم الفقراء. فبعد توزيع الصدقات طلبت ايڤون من اولادها ان تكون صلاتهم لنجاح سفر ابيها الحبيب وفوزهِ القريب باعدائهِ . والكل صاحوا بصوت واحد: «اللهمَّ انصر المحسن الينا»

ولما كان صباح الغد ودَّع فرنسيسكو ابنته بقلب كسير وهو يتلهَّف على مفارقتها في مثل تلك الحال ومنَّاها بقرب رجوعهِ حالما يفرغ من مهمَّتهِ

— سرْ على بركة الله ابي ان الله لرؤوف بعبادهِ

اما الفقراء فانهم لم ينتظروا الصباح للعود الى قريتهم فقفلوا راجعين في طريق منازلهم وكان اديم الجوّ صافياً ونجوم السماء تتلألأ وهم يتحدثون عن سفر فرنسيسكو والقبض على اعدائهِ

فلمَّا كشف الصباح عن وجه الظلمة وكان رأد الضحى شاع الخبر بين سكَّان القرية حتى بلغ مسامع فوريجان واصحابه فاستشاطوا غضباً وصمَّموا العزم المتين على اهلاك سكان القصر وسلب الفتاة ايڤون لما كانوا يعرفونهُ من محبة ابيها لها

ثم انتصب بينهم واحد منهم فقال: والامر لا يعسر علينا لأني دخلت القصر واستقصيت زواياه وخفاياه يوم تزيَّيت بزيِّ الصعاليك وقضيت فيهِ الليل منذ ثلاثة اشهر لما اليوم فهو اليوم القاضي على اعدائنا والويل لسكان القصر

فاجابت طغمته وقد عُرفت بالإقدام على الكبائر وارتكاب فظائع الاعمال: «الويل لسكان قصر السيد فرنسيسكو»

— اما التلاقي فعند منتصف الليل على باب القصر (لهُ بقيَّة)

آداب اللغة الفارسيّة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعيّ

أتحفنا احد علماء انكلترا المبرّزين وهو المستشرق ادورد برَون (Ed. G. Browne) بالقسمين الاوّلين من تاريخ آداب اللغة الفارسيّة فتلقينا هديتهُ السنيّة بما تقتضيهِ من التجلّة ثمّ زاد شكرنا لجنابهِ لمّا تصفّحنا كتابهُ فتحقّقنا ما اودعهُ من الابحاث الجليلة وضمّنهُ من المعلومات الفريدة في آداب الأمّة العجميّة بعد ان راجع لبلوغ غايتهِ كلّ ما امكنهُ من التآليف الفارسيّة وهو اعرف بها من سواه لما تولّاهُ سابقًا من نشر آثار الفرس بغيرة لا تعرف الملل حتى اصبح اليوم حجّة في كلّ ما ينوط بهذا المعنى فضلًا عن كونهِ استاذًا للفارسيّة في كليّة كمبردج الشهيرة

ونحن لا نرى احسن وصف لهذا المصنّف الجديد من ان نختصر هنا موادَّهُ فنوقف قرّاءنا على مضامينهِ الجليلة مع اضافة ما نراهُ مفيدًا لتعريف الآداب الفارسيّة ومشاهير كتبتها (١

*

اعلم انّ أمّة الفرس أمّة قديمة تضيع اصولها كغيرها من الامم العاديّة في مجاهل التاريخ وممّا استندنا من الاكتشافات الاخيرة في شوشن اسماء ملوك عيلاميين بسطوا سيطرتهم على بلاد فارس في الالف الثالث قبل المسيح. ثمّ قويت شوكة البابليين والاشوريين على بلاد عيلام وفقد شعوبها استقلالهم واخذت ايدي الضياع تواريخهم الخاصّة الى القرن السادس قبل المسيح

وظهرت اذ ذاك الدولة المعروفة بالاخمنيد (Achéménides) واوّل من اشتهر منها قورش الاوّل الذي استولى على بابل ووطّد دولة الفرس وفتح الفتوحات العديدة

١) وهذا اسم الكتاب بالانكليزيّة :

EDWARD G. BROWNE, M.A., M.B., F.B.A: **A Literary History of Persia.** I. From the earliest Times until Firdawsi. 1902, in-8, XI-521, — II. From Firdawsi to S'adi. 1906.. XIV-568, *London, T. Fisher Unwin.*

ومات سنة ٥٣٠ قبل الميلاد . وجرت على هذه الدولة التقلبات المتعددة وطالت مدتها الى ان خلفتها سنة ٥٢٠ ق م دولة بني ارشك التي تصدت الملوك السلوقيين وردت غارات الرومان في حروب يطول شرحها . وكانت نهاية هذه الدولة بانتصار بني ساسان سنة ٢٢٦ للمسيح ومنهم الاكاسرة الذين عُرفوا بعظمتهم ومفاخرهم ولم يزالوا ضابطين لزمام الامر الى ظهور الاسلام وكان آخر ملوكهم ازدشير الثالث الذي قُتل سنة ٦٥١ م

امّا آداب الفرس في اثناء ذلك فانها محصورة في بعض الكتابات والتآليف التي نجت من صروف الدهر فبلغت حتى عهدنا . وكانت لغة الفرس في عهد دولة الاخمنيد والدولة الارشكيّة اللغة الايرانيّة القديمة التي لها بعض العلاقات باللغات الاوربيّة القديمة المدعوّة بالهندوجرمانيّة . وهذه اللغة الايرانيّة العتيقة تسمّى ايضاً باللغة الزنديّة ومن آثارها الباقية كتابات حجريّة عديدة وُجدت في ابنية پرسيپوليس وغيرها . وكتابتها بالقلم المسماريّ او الاشوريّ . ومنها ايضاً كتاب زرادشت حكيم الفرس الذي وضع لاهل بلاده في القرن السادس قبل المسيح كتاباً دينياً واسماً اتخذهُ الفرس كدستورهم الدينيّ والسياسيّ معاً . وهذا الكتاب قد فُقد منهُ قسم كبير ونجا نحو ربعهِ الذي طُبع مراراً ونُقل الى اللغات الاوربيّة

وفي أيام الدولة الارشكيّة ثمّ الساسانيّة تغلّبت لغة اخرى على فارس أخذت من الفارسيّة القديمة واضافت اليها شيئاً من اللغات الآراميّة وهي اللغة البهلويّة وتُدعى بالفارسيّة الوسطى واقدم ما يُعرف من آثارها يرتقي الى اوائل القرن الثالث قبل المسيح وذلك عبارة عن كتابات شتّى على قصور ومدافن ونقود وبعض كتب دينيّة وادبيّة منها ترجمة كتاب زرادشت المعروف بالزنداوستا وكتب دينيّة كبندهشت في تعاليم زرادشت وبهمان يخت . ومنها ايضاً كتب ادبيّة في الاخلاق والتاريخ والروايات وثبتت اللغة البهلويّة اعصاراً عديدة الى اواخر القرن السابع بعد المسيح حيث سادت اللغة العربيّة .

ومن الآثار التي بلغتنا بواسطة اللغة البهلويّة كتاب كليلة ودمنة الذي نقلهُ ابن المقفّع الى العربيّة . اما كتابة هذه اللغة فكانت منقولة عن الكلدانيّة السريانيّة مع بعض اصطلاحات خصوصيّة وتكتب من اليمين الى الشمال . وقد دخل ايضاً هذه اللغة البهلويّة مفردات سريانيّة وعبارات ساميّة تعدّدت لهجاتها

ثمَّ قامت الدول الاسلاميَّة ورسخت قدمها في بلاد الفرس وتأت بذلك الآثار البهلويَّة وانتسخت او أُتلفت كتب قدماء العجم بينما كانت العربيَّة تنتشر وتمتدّ في انحاء فارس الى ان أُلغيت الكتابة البهلويَّة وفسدت اللغة الوطنيَّة او بالحري استحالت شيئاً فشيئاً الى لغة جديدة هي اللغة الفارسيَّة التي ظهرت في القرن التاسع التي لم تزل تنقَّح وتحسَّن بهمَّة كبار المصنّفين وائمَّة الكتبة الى ان بلغت عصرها الذهبي وممَّن ساعد على هذه النهضة الادبيَّة ملوك بعض دول العجم من سجستان وخراسان وخوارزم وما وراء النهر كالسامانيين والطاهريين والصفَّارين وبني بويه ولاسيَّما الغزنويين والسلجوقيين فكانوا يدعون الى منازلهم الادباء والشعراء ويعقدون المجالس الادبيَّة ويجزلون العطاء على من يبرز في ميدان الآداب حتى ازهرت اللغة الفارسيَّة الحدثة واخذ اصحابها عن العرب قواعد العروض فنسجوا على منوالها

واوَّل من يذكرون لهُ شعراً في الفارسيَّة حنظلة من بادغيس (من ٨٢٠ الى ٨٧٢م) في ايَّام الطاهريين . ثمَّ نظم الشعر في ايَّام عمرو بن ليث الصفَّاري (٨٧٨–٩٠٠م) فيروزُ المشرقيّ ثمَّ ابو سليك الجرجانيّ والشاهد البلخي وابو شعيب صالح الهروي وابو عبدالله محمَّد بن موسى الفرالاوي لكنَّ هؤلاء الشعراء وغيرهم قليلين لم يتركوا سوى قطع قليلة من شعرهم لا تتجاوز بعض الابيات . اما الشاعر الذي يُعدّ في مقدَّمة شعراء الفارسيَّة فهو الاستاذ ابو الحسن وقيل ابو عبدالله جعفر بن محمَّد الرودكي الذي خدم الملوك السامانيَّة وكان نديم مجلس نصر بن احمد (٩١٣–٩٤٢م) وكان مولد الرودكي من قرية قريباً من سمرقند فتعاطى الشعر وفاز فيه بالقصبة الظافرة وكان يحسن الغناء ويضرب على آلات الطرب كالمزهر والعود وشعرهُ متين منسجم قد جمعهُ الفضلاء في ديوان . ومن اعمال الرودكي انهُ نقل الى الفارسيَّة كتاب كليلة ودمنة والفرس يتَّخذونهُ كحجَّة في لغتهم ويستشهدون باقوالهِ . وعاصر الرودكي شعراء غيرهُ كانوا في عهدهِ او بعدهُ بزمن قليل منهم الشيخ ابو العبَّاس الفضل بن العبَّاس والشيخ ابو زرعة المعمَّري الجرجاني وابو اسحاق ابراهيم بن محمَّد البخاري . واشهر منهم ابو منصور محمَّد دقيقي الطوسي (+ ٩٧٥) وكان على دين المجوس لهُ القصائد والرباعيات وغيرها من ضروب النظم الفارسي كالقطع والمثنوي . واليهِ عهد الملك الساماني نوح ابن منصور (٩٧٧–٩٩٧) بنقل بعض الكتب البهلويَّة الى الفارسيَّة لاسيا تاريخ قدماء

. ملوك الفرس فانجز منها قسماً حال موتهُ دون اتمامها . ونُقل في زمانهِ الى الفارسيَّة تاريخ الطبري بهمَّة الوزير ابي علي محمد البلعميّ وكتب النرشخي بالفارسيَّة تاريخ بخارى وقم وغيرهما

وقد اشتهر ايضاً بهذا الزمان رئيس الاطبَّاء ابو علي بن سينا وكان مولدهُ في بخارى ولهُ ما خلا كتبهُ العربيَّة الشهيرة شعر حسن في الفارسيَّة . وممَّا لا يُنكر انهُ كان للفرس سهم فائز في العلوم العربيَّة فضلاً عن الفارسيَّة لاسيما في ايَّام بني عباس نشير هنا الى بعضهم للدلالة على فضلهم . قد سبق ذكر ابن المقفَّع ناقل كتاب كليلة ودمنة ولهُ تقول اخرى عدَّدها صاحب الفهرست كقضاني نامه وغيره . واشهر منهُ سيبويه شيخ النحو (+٧٩٣م) والامام الكبير ابو حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفيّ (+٧٦٧م) وحمَّاد الراوية الديلميّ (+ ٧٧٢ــ ٧٧٥م) والشاعران بشَّار بن برد (+٧٨٣م) ومروان بن ابي حفصة (+٧٩٧) والاديب اللغوي علي بن حمزة الكسائي (+ ٨٠٥) مهذّب ابني هارون الرشيد الامين والمأمون . وكان ايضاً ابو نوَّاس الشاعر فارسيّ الاصل ومثلهُ ابو فراس الحمداني (٩٦٨م) واللغويُّون الشهيرون الفرَّاء تلميذ الكسائي (٨٢٢م) وابو عبيدة معمر بن المثنى (٨٢٥م) والاخفش الاوسط النحوي (٨٣٥) والكاتب الجليل المتفنن ابن قتيبه (٨٢٨م) والمؤرخان العظيمان البلاذري (٨٩٢م) والدينوري (٨٩٥م) وابو بكر الخوارزميّ صاحب الديوان والرسائل (+٩٩٢) والجغرافيَّان الاسطخريّ وابن خرداذبه . وكان الفرس مولعين بالعلوم الفلسفيَّة فمنهم الرئيس ابن سينا السابق ذكرهُ وابو نصر الفارابيّ (٩٥٠م) . واصحاب الرسائل المسمَّاة برسائل اخوان الصفا والامام الشهير محيي الدين الغزَّالي (١١١١ م) وكل هؤلاء وغيرهم كثيرون اغنوا الآداب العربيَّة بمؤلفاتهم . وكانوا يحسنون ايضاً آداب الفرس ولبعضهم آثار وتآليف في الفارسيَّة اخنى على اكثرها الزمان . على انَّ العصر الذهبيّ للآداب الفارسيَّة ابتدأ في اواخر القرن العاشر وفي اوائل القرن الحادي عشر للمسيح . وفي مقدَّمة الذين اشتهروا في ذلك الشاعر المفلق فردوسى الذي وُلد في طوس سنة ٩١٦ للمسيح فانهُ بلغ في الشهرة ما لم يبلغهُ غيرهُ بكتابهِ المسمَّى شاه نامه صنَّفهُ للسلطان محمود الغزنويّ وقضى في تأليفهِ ثلاثين سنةً وهو تاريخ ملوك العجم منذ الزمن الاوَّل الى ايَّام خسرو ابرويز ضمَّنهُ كلّ اساطير العجم ورواياتهم الخياليَّة في اصول دُوَلهم . وهو كلهُ بالشعر

في ٠٠٠,٦٠ بيت. وكانت وفاتهُ سنة ٥١٠ هـ. (١١١٦م) وفردوسي غير ذلك ايضاً منها رواية يوسف وزليخا وعدة مقاطيع شعرية

وممَّن يعدُّهُ الفرس في الطبقة الاولى من شعرائهم ابو القاسم حسن عنصري المتوفى في اواسط القرن الحادي عشر لهُ ديوان نفيس اكثرهُ في مدح الدولة الغزنوية. وتتلمذ لعنصري شاعر مستفيض الذكر وهو عبد العزيز عسجدي بخارى الذي خدم محمود بن سبكتكين ولا يُعرف من ديوانهِ الَّا قطع متفرقة وكان يسمَّى في زمانهِ ملك الشعراء

وكان معاصراً لهؤلاء المذكورين الاستاذ ابو الحسن فرّخي ونال بفصاحتهِ الحظوى لدى الملوك والاعيان ولهُ ديوان شعر وكتاب ترجمان البلاغة. ومثلهُ في العهد والشهرة الشاعر ابو نصر احمد بن منصور الطوسي المعروف باسدى طوسى لهُ شعر حسن ومناظرات وهو اوَّل من وضع معجماً للغة الفارسيَّة ولا تُعرَف سنة وفاتهِ وسيأتي اسم ابنهِ

وليس دون هؤلاء رقَّة وذكاء وشهرة ابو الفرج سجزى من اهل سيستان وصاحب الامير ابي علي سمجور توفي سنة ١٠٠٢م. واخذ عنهُ الشعر ابو النجم احمد الشهير بمنوچهرى الذي نشر ديوانهُ المستشرق الفرنسوي كزيرسكي في باريس سنة ١٨٨٦. وكذلك يفتخر الفرس بشعراء غير هؤلاء كغضائرى الرازي الذي اجازهُ السلطان محمود على قصيدة قالها في مدحهِ باربعة عشر الف درهم وكبندار الرازي (+١٠١٠م) الذي قرَّبهُ الامير مجد الدولة رستم البويهي والصاحب اسماعيل بن عبَّاد. وكابي الحسن الكسائي (١٠٠٢) كما انَّنا لا ننسى احد مشاهير ادباء العربية نريد بديع الزمان الهمذاني (١٠٠٨م) الذي كان يُتقن الفارسيَّة كالعربيَّة ولهُ في كلتا اللغتين التآليف الحسنة

ثمَّ ظهرت في العجم دولة بني سلجوق وكان اوَّلهم طغرل بك (١٠٣٧—١٠٦٣م) ثمَّ خلفهُ الب ارسلان (١٠٦٣م) ثمَّ ملكشاه (١٠٧٢—١٠٩٢) وكانوا يحبُّون العلم والادب ويجزلون العطاء على الشعراء وكان من وزرائهم نظام الملك مولعاً بالآداب الفارسيَّة ولهُ ايضاً تاليف حسن يُدعى سياست نامه طبعهُ فقيد الآداب الفارسيَّة المستشرق الفرنسوي المسيو شرل شيفر (Schefer) ونقلهُ الى الفرنسويَّة

وممَّن اشتهروا في زمن السلجوقيين الحكيم ابو معين الدين ناصر خسرو المروزي

احد كبار كتبة الفرس الذي تجشَّم الاسفار البعيدة وكتب اخبارها في كتاب رحلة دعاهُ سفرنامه نشرهُ المسيو شيفر الموما اليهِ مع ترجمتهِ الى الفرنسويَّة وزار الشام ومصر ودوَّن فيهما عدَّة تفاصيل يستند اليها العلماء. وكان يُحسن النظم في الفارسيَّة وديوانهُ واسع طُبع في تبريز حديثًا. ولهُ تآليف أُخرى فلسفية وحكميَّة منها رووشنانى نامه اي كتاب النور بالشعر المثنوي وكتاب سعادت نامه في ثلاثين فصلًا وهو كتاب ادبٍ منظوم. ولهُ ايضًا كتاب زاد المسافرين واكسير الاعظام وغير ذلك. توفي ناصر سنة ١٠٨٨ م

واشتهر ايضًا في دولة بني سلجوق اربعة شعراء احرزوا لهم في بلاد فارس اسمًا طيبًا بنظمهم وقد عُرفوا خصوصًا بضرب من الشعر شاع في العجم وهو نوع الرباعيَّات واوَّلهم عُمر الخيَّامي وكان فلكيًا ينظم الشعر الجيّد ولهُ عدَّة تآليف اشهرها رباعيَّاتهُ التي طُبعت مرارًا ونُقلت الى الفرنساويَّة والانكليزيَّة. وقد نسبهُ اهل عصرهِ الى الزندقة والالحاد ولهُ كتاب في الجبر والمقابلة طبعهُ العلَّامة ڤوبكه (Woepcke) ونقلهُ الى الفرنسويَّة. والشاعر الثاني بابا طاهر الهمذاني المعروف بالمجذوب لهُ الرباعيَّات من بحر الهزج توفي سنة ٤١٠هـ (١٠١٩م) والثالث ابو سعيد بن ابي الخير المتوفى سنة ١٠٦٢م. وكان على مذهب الصوفيَّة وشعرهُ كشعر ابي الفارض عند العرب. امَّا الرابع فهو الشيخ ابو اسماعيل عبدالله الانصاري الهروي وُلد في هراة سنة ١٠٠٦م وتوفي سنة ١٠٨٨ كان ايضًا صوفيًا لهُ في الطريقة عدَّة مؤلّفات كمنازل السائرين وانوار التحقيق والنصيحة والهى نامه وزاد العارفين وكتاب الاسرار وطبقاتى صوفيّه. ولهُ في النظم الرباعيَّات والمناجيات

وممَّن يستحقُّ ذكرًا في هذا الزمانَ عينهِ علي اسدى وهو ابن ابي نصر احمد اسدى المذكور سابقًا نظم كتاب تاريخ الفرس (گرشاسپ نامه) الذي طُبع في ڤيِنَّة سنة ١٨٥٩ ونُقل الى الالمانية. ولهذا الشاعر معجم فارسي طُبع في غوطا على نسخة قديمة في المكتبة الڤاتيكانيَّة

وفي هذا القرن الحادي عشر ألَّف الامير كيكاوس لابنهِ گيلانشاه كتاب قابوس نامه في ٤٤ فصلًا في كلّ المواضيع الادبيَّة كعقد الفريد لابن عبد ربّهِ وقد نُشر مطبوعًا على الحجر في طهران سنة ١٨٧٠

وكان الفرس لا يزالون في تلك الاثناء ينكبُّون على الدروس العربيَّة اشتهر منهم

كثيرون بآدابهم نخصّ منهم بالذكر ابا منصور الثعالبي (+ ١٠٤٨ م) الشهير بتآليفه المتعددة وابا الحسن الماوردي (+١٠٥٨م) صاحب ادب الدنيا والدين والآداب السلطانية. ومحيي الدين الغزّالي (+١١١١م) السابق ذكره

ثم دخل القرن السادس للهجرة الموافق للثاني عشر للمسيح وبقيت الدولة في يد بني سلجوق وكان اعظمهم شأناً السلطان سنجر وملك اربعين سنة (١١١٨-١١٥٧م) وغلبت الفتن على الدولة من بعده الى ان صار الامر الى تكش صاحب خوارزم سنة ٥٩٠ هـ. (١١٩٤م) واخلافه الخوارزميّة الى ظهور المغول (١٢٢٠م). امّا الآداب الفارسيّة في هذا القرن فانها لم تفقد مفاخرها التي بلغتها في عهد فردوسي ورصفائه فنذكر هنا بعض الذين برّزوا في الكتابة شعراً ونثراً

واوّلهم الحكيم العارف سنائي ابو المجد مجدود بن آدم من اهل غزنة وقيل من بلخ لهُ عدّة تآليف على الطريقة الصوفيّة واشهرها حديقة الحقيقة في الآداب اهداهُ لبهرام شاه صاحب غزنة وجعلهُ على عشرة اقسام. ولهُ ايضاً ديوان اكثرهُ من نوع المثنوي طُبع في طهران سنة ١٢٧٤هـ. (١٨٥٧م) ثم طُبعت الحديقة في بمباي سنة ١٢٧٥. توفّي سنائي نحو السنة ١١٥٠م او قبلًا

واشتهر منهم الامير مُعزّي الملقَّب بملك الكلام مدح السلطان سنجر وحظي عندهُ. وهو يُعدّ من اكبر شعراء الفرس وشعرهُ في غاية الحسن والسلامة كانت وفاتهُ سنة ٥٤٢ هـ. (١١٤٧م). وكذلك يثني أدباء فارس المحدثون على شاعر آخر عمّر طويلًا وكتب كثيراً وهو رشيد الدين محمّد العُمَري المعروف بالوطواط وقد تفنّن في ضروب البلاغة ولهُ كتاب في صناعة علم الشعر يدرسهُ الطلبة في فارس يُدعى حدائق السحر امّا ديوانهُ فيبلغ نحو ١٥,٠٠٠ بيت توفّي في خوارزم وقيل في خوى سنة ٥٧٨ هـ. (١١٨٢م). وكانت بينهُ وبين شاعر آخر من شعراء زمانه يدعى اديب صابر مباحثات ومهاجاة وكان ينتصر لكلٍ منها قومٌ من الادباء. قُتل اديب سنة ٥٤٢ هـ. (١١٤٧م)

وممّن تتداول ذكرهُ الالسنة حتى اليوم لحسن نظمه في الفارسيّة نجم الدين احمد ابن عمر الشهير بنظامي عروضي واصلهُ من سمرقند اجتمع بكثير من الادباء والشعراء وروى عنهم اخبارهم ولهُ في ذلك كتاب يُدعى بالمقالات الاربع (چهار مقاله) الذي

طُبع في طهران سنة ١٣٠٥ هـ. (١٨٨٧م) فنقلهُ الى الانكليزيَّة العلَّامة برون صاحب. الكتاب الذي نحن بصدده. وكانت وفاتهُ نحو السنة ١١٦٠م. اما شعرهُ فقد اخذ اكثرهُ الضياع. ونظامی هذا سمّي لهُ ايضاً تآليف متعدّدة اسمهُ نظام الدين محمد ابن يوسف وُلد في كنجة سنة ٥٣٥ هـ. (١١٤٠م) فعُرف بنظامی گنجوی وتوفي سنة ٥٩٥ هـ. (١١٩٩) لهُ ديوان شهير يسمَّى الكنوز الخمسة (پنج گنج) ضمَّنهُ خمسة تآليف شعريَّة بالشعر المثنويّ ولكلّ قسم اسمٌ اولهُ مخزن الاسرار ثمَّ قصَّة خسرو وشيرين ثمَّ قصَّة ليلى ومجنون ثمَّ اسكندر نامه ثم هفت پيكار (اي الصور السبع) ويدعى بهرام نامه ولهُ قصائد غيرها تبلغ عشرين الف بيت

وسبق هؤلاء شاعر آخر ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر وهو اوحد الدين أنوَرى كان من خراسان ودرس في المدرسة المنصوريَّة في طوس. قيل انهُ رأى يوماً موكباً عظيماً يمشي بين يدي رجل راكب على فرس مطهَّم فسأل عنهُ فقيل لهُ انهُ شاعر الملك فقضى ليلهُ في تأليف قصيدةٍ مدح فيها سنجر فسُرَّ بها الملك وجعل الشاعر في حلقتهِ ولم يزل يتقدَّم عندهُ حتى حاز قصبة السبق على غيرهِ. توفي نحو السنة ١١٩٠ وقيل ان سبب وفاته انهُ كان يتعاطى التنجيم فلم تصدق اقوالهُ في النجوم وتغيَّر عليهِ الملك فهرب الى بلخ وفيها توفي كآبةً. ومن قصائدهِ الرنَّانة مدحهُ لمودود بن زنكي وقصيدتهُ المسماة دموع خراسان

ويشبه انورى في شهرتهِ وان لم يشبههُ في رقَّة شعرهِ افضل الدين ابراهيم بن علي الشرواني الشهير بخاقانى. حقائقى تنقَّل في البلاد وقصد القصائد العديدة التي طُبع مجموعها في لوكنو في الهند وعدد صفحات هذا الديوان ١٠٨٣ صفحة ولهُ مع هذا كتاب وصف فيه رحلاتهِ دعاهُ تحفة العراقين بالشعر المثنوي. وشعر الخاقاني قليل الوضوح كثير التصنُّع. توفي خاقانى في تبريز سنة ٥٨٦ (١١٨٥م)

امَّا الذين اشتهروا بآدابهم في ايَّام الدولة المغوليَّة في اوائل القرن الثالث عشر للمسيح فثلاثة قد ختم الاستاذ برون كتابهُ الثاني بتراجمهم وهم فريد الدين عطَّار وجلال الدين الرومي وسعدى. واسم الاوَّل ابو طالب محمَّد بن ابي بكر ابراهيم النيسابوري كان في اوائل القرن الثالث عشر وزهد في الدنيا ولهُ مصنَّفات شتَّى على مذهب الصوفيين كمظهر العجائب واشتور نامه (كتاب الجمل) ولسان الغيب وتذكرة

الاولياء المعروف بپند نامه . ومن تآليفهِ الجميلة في الشعر كتاب منطق الطير الذي طبعهُ العلّامة الفرنسويّ غرسين دي تاسي (G. de Tassy) ونقلهُ الى الفرنسويّة . وعلى طرزهِ كتب في العربيَّة ابن غانم المقدسيّ كتابهُ كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار الذي نقلنا منهُ قسماً صالحاً في مجاني الادب (٤: ١١٧–١٥١)

والثاني جلال الدين محمد الرومي فانهُ وُلد في بلخ سنة ١٢٠٧م وتوفي سنة ١٢٧٣م . ويُعرف بشمس تبريز . وشعرهُ كلُّهُ على طريقة الصوفيين وقد بلغ في ذلك مبلغ فريد الدين عطَّار بل فاقهُ . ساح ايضاً في البلاد وسكن مدَّة دمشق وقيل انهُ صنَّف فيها معظم ديوانهِ . ولهُ خصوصاً مثنويَّتهُ الشهيرة التي تبلغ ٢٦،٦٦٠ دوراً وهي في ستَّة اقسام واهل فارس يكثرون من درسها وان كانت دون قصائد ديوانهِ بلاغةً وحسناً

واشهر من الشاعرين السابقين مشرف الدين بن مصلح الدين عبدالله المعروف بسعدى شيرازى وُلد في شيراز سنة ١١٨٤م وعمّر طويلاً حتى اربى على مئة عام ومات سنة ١٢٩١م اختصَّ بخدمة الاتابك سعدبن زنكى وهو شاعر جليل مطبوع فصيح الالفاظ بليغ المعاني اخذ عن شيوخ زمانهِ كشهاب الدين السهروردي وشمس الدين ابي الفرج بن الجوزيّ ورحل الى بلاد الاسلام فزار الهند واليمن والحجاز والحبشة والشام والمغرب ورجع الى بلادهِ بعد المحن والاتعاب العديدة فانقطع الى التأليف . وكتبهُ كلها مشهورة اودعها ضروب المحاسن الادبيَّة واللغويَّة منها كتاب البستان وكتاب كولستان الذي نقلهُ الى العربيَّة جناب الاديب جبرائيل مخلَّع وكتاب الكلّيات . وديوانهُ بين ايدي كلّ الدارسين يستظهرونهُ ويتناشدونهُ

وهنا اوقف العلّامة براون قلمهُ وفي نيَّتهِ أن يتحفنا قريباً بالمجلّد الثالث لتعريف مشاهير الادباء في فارس منذ غرَّة القرن الرابع الى زماننا فلا يسعنا الّا أن نشكر لهمّتهِ القعساء . وفي كتابهِ الذي اختصرنا بعض مضامينهِ اشياء كثيرة غير التي ذكرناها ولولا ضيق المكان لنقلنا منها نبذاً كتعريف الكتبة الذين اشتهروا في بلاد فارس في غير ابواب الشعر والانشاء . فان عددهم وافر فمنهم من كتب في التاريخ والعلوم الطبيَّة والرياضيات والطبيعيَّات وقد جاروا الكتبة العرب في كلّ باب من ابواب الكتابة فانَّ القاضي حميد الدين ابو بكر البلخي مثلاً عارض الحريريّ بفنّ المقامات فصنَّف ٢٤

مقامة وكتب زين الدين الجرجاني دائرة للعلوم الطبية ونقل ابو المعالي نصر الله كايلة ودمنة الى الفارسية. هذا فضلاً عمن اشتهروا بين كتبة العرب وكان اصلهم من بلاد فارس كزكريا القزويني صاحب عجائب المخلوقات وفخر الدين الرازي الطبيب والفيلسوف الشهير ونصير الدين الطوسي الفلكي والمطرزي والزمخشري وغيرهم كثيرين. فالشكر كلّ الشكر لمن قرّب الينا اخبار هؤلاء الادباء وتمنّى لتأليفهِ رواجاً كبيراً بين كل محبّي الآثار الشرقيّة

فصول صحيّة لتدبير الاحداث

توطئة

ممّا وقع الينا مؤخراً في بعض مكاتب البلدة كتاب طبّي يدلّ ورقهُ انهُ كُتب منذ مئتي سنة بيّف وهو مخطوط بقلم نسخيّ جليّ العبارة يروق العين بحسنهِ. وطول الكتاب ٢٠ سنتمتراً في عرض ١٣ س وهو مجلّد تجليداً شرقياً قديماً منقوشاً. وقسم من ورقهِ اصفر وقسم آخر ابيض والورق صفيق حسن الصقل. والكتاب يتألف من نحو ٢٥٠ صفحة وفي الصفحة ١٥ سطراً بحبر اسود للمتن واحمر للفصول. امّا مؤلف الكتاب فلم يُذكر لا في اوّلهِ ولا في اثناء فصولهِ. بل ليس عنوان لكتابهِ وانما يُقرأ في اوّلهِ بحرف احمر قبل البسملة

«كتاب الحاذق المترجم بالعلمي مختصر من القانون الطبيّ»

يليهِ ما نصّهُ «بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين وصلواتهُ على عبادهِ المؤمنين واصحابهِ الطاهرين» ثم يباشر المؤلف بتعريف الطبّ واقسامهِ وموادهِ وكلياتهِ وجزئياتهِ في نحو مئة فصل على طريقة مدارسيّة. وقد عارضناهُ بما لدينا من المخطوطات والمطبوعات الطبيّة العربيّة فلم نجدهُ موافقاً لشيء منها. وقد وجدنا فيه بعض فصول صحيّة حسنة تدبير الاحداث ننقلها هنا لفائدتها فضلاً عن كونها اثر قديم ولعلّ احد القرّاء يقف بواسطتها على اصل الكتاب وصاحبهِ فيفيدنا عنهُ ولهُ منّا الشكر سلفاً ل. ش

تعديل اخلاق الولد

(قال) اذا انتقل الاحداث الى سنّ الصبا يجب ان تكون العناية مصروفة الى مراعاة اخلاق الصبي فتُعدَّل وذلك بان يُحفظ كيلا يعرض لهُ غضب وخوف شديد او غمّ او سهر وذلك بان يتأمل كلّ وقت ما يشتهيهِ ويحنّ اليهِ فيقرَّب اليهِ وما الذي يكرههُ فينحّى عن وجههِ. وفي ذلك منفعتان احداهما في نفسهِ بأن ينشأ من الطفولية

حسن الاخلاق وتصير له ملكة لازمة . والثاني لبدنه فانه كما ان الاخلاق الردية تابعة لانواع سوء المزاج فكذلك اذا حدثت عن العادة استعقبت سوء المزاج المناسب لها . فان الغضب يسخن جداً والغم يجفف جداً والتبليد يزيل القوى النفسانية ويميل المزاج الى البلغمية ففي تعديل الاخلاق حفظ الصحة للنفس والبدن معاً . واذا انتبه الصبي من نومه فالاحرى ان يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة ثم يطعم شيئاً يسيراً ثم يطلق له اللعب الاطول ثم يستحم ثم يغذى . ويجنبون ما امكن شرب الماء على الطعام لئلا ينفذ فيهم نيأ قبل الهضم

فاذا اتى عليه من احواله ست سنين فيجب ان يقدم الى المعلم والمؤدب ويدرج ايضاً في ذلك ولا يحمل عليه فيلازم الكتّاب طوعاً . واذا بلغوا هذا السن نقص من استحمامهم وريد في لعبهم قبل الطعام وجنبوا النبيذ خصوصاً ان كان (الصبي) حار المزاج . . . وليطلق لهم من الماء البارد العذب النقي شهوتهم . ويكون هذا هو النهج في تدبيرهم الى ان يوافوا الرابع عشر من سنهم مع الاحاطة بماذا ينالهم كل يوم من تنقص الرطوبات والتجفف والتصلب ويدرجون في تقليل الرياضة وهجر المتعبة منها ما بين سن الصبا الى سن الترعرع ويلزمون المعتدل منها . وبعد هذا السن تدبيرهم هو تدبير الاتمام وحفظ الصحة فلننتقل اليه ولنقدم القول في الاشياء التي فيها ملاك الامر في تدبير الاصحاء البالغين ولنبدأ بالرياضة

فصل في الرياضة

الرياضة حركة ارادية تضطر الى التنفس العظيم المتواتر . والموفق لاستعمالها كما ينبغي ان تؤمن الامراض المادية وما يتبعها من الآفات اذا كان سائر تدبيره صواباً وذلك لأن الغذاء لا يستحيل بكليته الى البدن بل يفضل عنه في كل هضم فضلة . واذا تكررت اجتمع ما يحدث الامراض . واستفراغها في اكثر الامر انما يتم ويجود اذا كان بأدوية سمية . ولا شك انها تنهك الغريزة . . . كما قال ابقراط : الادوية تنقي وتبلي لانها تستفرغ من الخلط الفاضل والرطوبة الغريزية والروح . والرياضة تمنع ذلك الاجتماع وتكون الحركة معينة له بالازلاق وتنعش الحرارة الغريزية فتكمل بها افعال البدن وتصلب المفاصل والعضل فتقوي وتوسع المسام ليسهل تحلل ما يحتاج الى تحلله منها وكثيراً ما يقع تارك الرياضة في الدق

وانواعُ الرياضة مختلفة كالإحضار والركض والقفز ويجب ان يُتفنَّن في استعمالها ولكل عضوٍ رياضة تخصُّهُ مثلًا ان اعضاء النفس تُراض بالصوت الثقيل العظيم تارةً وبالحادّ أخرى وتكون تلك ايضًا رياضةً للفم واللهاة واللسان وعلى هذا القياس يجب ان لا يُراض العضو الضعيف · مثلًا من اعتاد الدواليّ فالواجب لهُ ان لا يُحرّك رجليهِ كثيرًا بل يروّض اعالي بدنه بحيث يصل تأثير الرياضة الى رجليهِ من فوق فتكون رياضةُ العضو الضعيف تابعةً لرياضة العضو القويّ · ووقتُ الرياضة عند نقاء البدن من الفضول الخلطيَّة ومن البراز والبول وبعد انهضام الغذاء وقبل حضور وقت الغذاء الآخر ويدلُّ عليهِ نضج البول قوامًا ولونًا · وتضرُّ الرياضةُ على الجوع وتُنهكُ القوّة · والرياضة على الامتلاء · مع انها شديدةُ الضرر خيرٌ من الرياضة على الخوى المفرط واصوبُ اوقاتها عند اعتدال الهواء · والاولى ان يتدلّك قبل الرياضة بشيء خشن ثم يتمرَّخ بدُهنٍ عذبٍ بأيدٍ كثيرة مختلفة اوضاع الملاقاة ثم يرتاضُ · ومقدار الرياضة ان يُراعى فيهِ ثلثة اشياء · اللون فما دام يزدادُ جودةً فهو بعدُ وقتٌ · والثاني الحركاتُ فانَّها ما دامت خفيفة فهو بعدُ وقتٌ · والثالث حال الاعضاء وانتفاخها فما دامت تزدادُ انتفاخًا فهو بعدُ وقتٌ · وعند قطع الرياضة يُقبل على الدهن المعرّق ويحصر حينئذٍ النفَس

فصلٌ في الدَّلك

الدلك منهُ صُلبٌ فيشدُّ ومنهُ ليّن فيُرخي ومنهُ كثيرٌ فيُهزل · ومنهُ معتدلٌ فيُخصبُ واذا رُكّب ذلك حدثت تسعُ مُزاوجاتٍ · وايضًا من الدلك ما هو خشنٌ اي بخرقٍ خشنةٍ فيجذب الدم · ومنهُ املسُ اي بالكفّ الليّنة او بخرقٍ ليّنةٍ فيحبس الدم في العضو · واذا علمتَ ما تقدَّم في هذا الفصل امكنك بالدلك تكثيفُ البدن المتخلخل وخلخلة الكثيف وتصليبُ الليّن وتليينُ الصلب وجذبُ الدم وحبسهُ · وقد يُقدَّمُ الدلك على الرياضة ويُسمَّى ذلك الاستعداد وقد يؤخَّرُ عنها ويسمّى ذلك الاسترداد · ويراد منهُ تحليلُ بقايا الفضول فلا يُحدث الإعياء · ويكون ذلك دلكًا رفيقًا معتدلًا واحسنهُ ما كان بالدُّهن

فصلٌ في الاستحمام

الانسان الكامل الصحّة لا يحتاج الى تحليل الحمّام وانّما يستفيدُ منهُ حرارةً لطيفة وترطيبًا معتدلًا · فلذلك يجب ان لا يطيل اللبث فيهِ ويستعملُ قدر ما تحمرّ بشرتهُ

وتربو ويرطّب الهواء بكثرة صبّ الماء. والمرتاض لا يستحم الّا بعد الاستراحة . ويجب ان يُتدرَّج في الدخول والخروج ويكون الاستحمام بعد الهضم وقبل افراط الخوى الّا من يريد التحليل . والصفراوي يتناول قبل الاستحمام خبزًا منقوعًا في ماء الفواكه وماء الورد وليتوقّ تناول الشيء البارد والحارّ بالفعل في الحمّام وعقيبهُ لئلا يبرد جوهر الاعضاء الرئيسيّة ولا يحدث الذوبان والمحموم يحذَّر الحمّام الّا من نستثنيه فيما بعد . وكذلك صاحب تفرّق الاتصال والورم . والحمّام مُسخّن مبرّد مرطّب ميبّس نافعٌ ضارٌ كما عرفت . ومنافعهُ التنويم والتفتيح والجلاء والتحليل والإنضاج وجذب الغذاء الى ظاهر البدن وحبس الاسهال وازالة الاعياء . ومضارُّهُ تضعيف القلب ان أُفرط منهُ وايراث الغشي وتحريك الموادّ الساكنة وتهيئتها للعفونة وامالتها الى الأفضية والاعضاء الضعيفة

فصل في الاغتسال بالماء البارد

لا يستعملهُ الّا شابّ قويّ المزاج جيّد السحنة في الصيف وقت الهاجرة . ولا يكوننَّ بهِ تخمة او قيء او اسهال او سهر او نزلة ولا تتقدّمهُ جماعٌ ولا استفراغٌ آخر ولا رياضةٌ الّا القويّ جدًّا فان الماء البارد يحصرُ الحارّ الغريزي ويكثره فيقوى على البرود اضعافًا لما كان ويقوّي البشرة

فصل في المأكول

يجب على حافظ الصحّة ان يقتصر من الاغذية على الحنطة النقيّة الغير المؤوفة واللحم والشيء الحلو الملائم للمزاج والشراب الطيّب الريحاني ولا يلتفت الى غير ذلك من الاغذية الدوائيّة كالبقول والفواكه . واشبه الفواكه بالغذاء التين والعنب والحلو النضيج والتمر في الاراضي المعتاد فيها ذلك . ولا يأكل الّا على الشهوة الصادقة ولا يدافعها اذا هاجت . وليكن الغذاء في الشتاء حارًّا بالفعل . وفي الصيف بالضدّ . وان تُنوول من الاغذية الدوائيّة على سبيل الخطأ فليتدارك ضررهُ بحسب ما يُعلم في بابهِ . واضرّ شيء في البدن ادخال غذاء على غذاء لم ينهضم ولا بأس بالحركة الخفيفة على الطعام وامّا العنيفة منها فعظيمة الضرر . وكذلك الأعراض النفسانيّة الفادحة . وليكن غذاء الشتاء اكثر واقوى . وبالضدّ في الصيف . وليمسك عن الغذاء وفي النفس بقيّةُ شهوةٍ فانها تبطل بعد ساعة وان أفرط فيهِ أتبع جوعًا . فلا خير للبطنة من مخمصةٍ تتبعها

ويجب ان يكون نوم العشاء على اليمين اولًا زمانًا قصيرًا ثم على اليسار ثم على اليمين . والدثار ورفعُ الوسادة مُعينٌ على الهضم بالتسخين والحط الى قعر المعدة وفيهِ الهضم القوي . وتقدير الغذاء انما يكون بحسب العادة والقوَّة . ويجب ان لا يكثر بحيث يثقل ويمدّد الشراسيف ويفوّق . وشرّه ما صغَّر النفَس لمزاحمة المعدة والحجاب . ومن يعرض لهُ عقيب الطعام حرارة فليأ كل قليلًا قليلًا لئلّا يعرض لهُ من الامتلاءِ حالة كالنافض ثم تتبعهُ حرارة كالحمّى . والعاجز عن هضم الكفاية يُكثر العدد ويقلّل المقدار . والسوداوي يحتاج الى غذاء مُرطّب قويّ مُسخّن ضعيف . والصفراوي الى مبرّد مرطّب . والبلغمي الى مسخّن ملطّف . وليحذر إتباع الرقيق السريع الهضم الغذاء القوي الصلب فانهُ لا ينفذ ويُفسد . وان كان الغذاء البطيء الانهضام اذا تقدّم وحصل في قعر المعدة وتبعهُ الرقيق وحصل في فمها فيتقارب زمان الهضمين . فان اتّفق على هذه الوجه فانّهُ لا يضرّ ذلك الترتيب ولا يقدم الزَّلق على الغذاء القويّ فانّهُ يزلقهُ قبل الهضم . والاصوب ان لا يجمع بينهما فان البطيء الانحدار وان قُدّم فانهُ يمنع اللين عن الانحدار فيفرط عمل الحارّ المعتري فيهِ فيفسد . ومن الناس من يفسد في معدتهِ الغذاء اللطيف فينهضم فيها البطيء الهضم وهو النّاريّ المعدة . ومنهم من هو بالضدّ وكلّ يدبَّر بحسب الواجب

وللابدان خواصّ لا تُدرك بالقياس . فلتُحفظ تلك . فقد رأينا للزيرباج مضرَّةً قويّةً . ومن استمرأ الغذاء الرديّ فلا يغترنّ بذلك فانهُ متولّد منهُ على الايام اخلاط رديّة قتّالة . والمستكثر من اللحوم ينبغي ان يتعهّد الفصد وان كان مبرودًا فعليهِ بالجوارشات وما من شأنهِ ان ينقّي المعدة والامعاء . وشرّ الاشياء جمع اغذية مختلفة وبعدهُ تطويل مدّة الاكل فيختلف حالها حال ما في المعدة من الهضم . واوفق الغذاء الذّ اذا كان صالح الجوهر وللاعضاء الرئيسة سالمهُ . واوفق المرّات ان يأكل يومًا وجبةً مرّةً ويومًا مرّتين بكرةً وعشاء . ويجب مراعاة العادة . والعادة المذمومة يجب ان لا تُغادر الّا بالتدريج فكيف العادة الحميدة والابدان المراريّة تحتاج الى تفريق التناول والى سرعة تغذٍ والى تقديمهِ قبل الاستحمام . واما غيرها فليستحمّوا ثم يأكلوا ولا مصلح للشهوة الفاسدة المائلة الى الحرّيفة العائفة للخلوة والدسمة من القيء مثل السكنجبين

. ولا يشرب الماء الكثير على الطعام فانهُ يفرّق بينهُ وبين المعدة ولا يجود اشتمالها عليهِ ويجب قصورٌ في الهضم ويتربّص حتى ينفذ من المعدة ويدلّ عليهِ خفّة الاعالي وان أذي بالعطش فليقتصر على مصٍّ من الماء البارد. والصابرة على العطش نافعٌ للمبرودين والمرطوبين ضادٌ للمحرورين. وكذلك الصبر على الجوع. وينصبُّ مرارٌ الى معدهم فيحتاجون الى ما يحدرهُ من الملينات الخفيفة مثل الاجاص او شيء يسير من الشيرخشت. والشراب على الطعام من اضرّ الاشياء لانهُ ينفذهُ قبل الهضم. ويُورث السدّد والعفونة. والحلاوات كثيرًا ما تسدّد لجذب الطبيعة لها وحبّها اياها. والسدد تُوقع في امراضٍ كثيرة منها الاستسقاء. وغلظ الهواء والماء مما يفسدُ الهضم. ولا بأس ان يُشرب عليهِ قدح ممزوج او ماءٌ حارٌّ طُبخ فيهِ عودٌ ومصطكى. ومهما اشتملت المعدة على غذاءٍ لطيفٍ فانها تنفر عن الغليظ ولا تقبل على هضمهِ. ولا تجبُن عن قبول اللطيف بعد الغليظ. واذا أفرط في الاكل بودر الى القيء بشرب الماء الحارّ. وان منع من القيء مانع أعينت الطبيعة بما يُطلق بالرفق. اما المحرور فمثل الاطريفل والجلنجبين المسهل. واما المبرود فبمثل الكمّوني الذي لم يُنعم سحق اخلاطهِ او التمري او الشهرياراني. والامتلاء من الشراب خيرٌ منهُ من الطعام لانهُ الطف. وممّا يُحدِّر ما في المعدة ثلث حمصاتٍ من الصبر او نصف درهم صبر ونصف درهم علك الانباط ودانق بورق رومي وممّا هو خفيف حبّتان او ثلث من علك البطم. وربما جُعل فيهِ مثلهُ او اقلّ من البورق. ومما هو محمودٌ جدًا شيء من الافتيمون مع شرابٍ. وان لم يحتمل المزاج شيئًا من ذلك نام نومًا طويلًا وهجر الغذاء يومًا واحدًا واذا اخفّ استحمّ ولطّف الغذاء. والغذاء الكثير اوان الهضم في المعدة فانهُ قلّ ما ينهضمُ في العروق بل يُمدّدها ويورث ثقلًا في البدن وكسلًا وتمطّيًا فليُعالج بما يستفرغ من العروق. وذلك بالمسهلات والاغذية الحارّة يتدارك ضررُها بالسكنجبين لا سيّما البزوري فانّهُ انفع انواعهِ ان كان مسكيًّا. وان كان عسليًا فالساذج منهُ كافٍ. والباردة منها تُتبَعُ بماء العسل. والغليظة منها يُتبعها المحرور سكنجبينًا قوي البزور والمبرودُ شيئًا من الفلافلي. والغذا اللطيف احفظ للصحّة. والغليظ احفظ للقوّة والجلد وليرصد صاحبُ الجوع الشديد ولا يستكثرنّ منهُ. والفواكه الرطبة تُقدَّم على الطعام. وتركها اولى فانّها تهيّئ للعفونة. ويجب المشي بعد تناول الفواكه لتزلق ومن تأذى بالحلو شرب عليهِ

الحامض. ومن تأذَّى بالحامض تناول عليهِ العسل والشراب العتيق ومن تأذَّى بالدسم تداركهُ بالعفص مثل حبّ الآس والخرنوب والزعرور

والاستكثار من الاغذية اليابسة يُسقط القوَّة ويُفسد اللون. والدسم يكسل ويُذهب الشهوة. والحامض يجلبُ الهرَم. والمالح يضرّ المعدة والعين ويُغشي. والخيار بقشرهِ اسرع انحدارًا. وكذلك الخبز بنخالتهِ. قال اصحابُ التجارب من الهند وغيرهم: ينبغي ان لا يُجمع بين اللبن والحموضات ولا بين سمكٍ ولبنٍ ولا بين ماشٍ وفجلٍ (كذا) او لحم طيرٍ. ولا بين سويقٍ وارزّ بلبن. ولا يُستعمل دسمٌ كان في اناء نحاس. ولا يؤكل شواء شُوي على جمر الخروع. وافضل اوقات الاكل هو الوقت المعتدل والكباب كثير الغذاء بطيء الانحدار...

مطبوعات شرقية جديدة

Proverbes Arabes de l'Algérie et du Maghreb, recueillis, traduits et commentés par Mohammed ben Cheneb, T. II, *Paris, Ernest Leroux*, 1906, In-8, p. 308.

الامثال العربيَّة الشائعة في الجزائر والمغرب

هذا الجزء الثاني من كتاب وصفنا قسمهُ الاوَّل سابقًا (المشرق ٨: ٨٦٣) وبيَّنا فوائدهُ لا سيما لتعريف عادات اهل الجزائر وآدابهم واتجاه افكارهم لأنَّ الامثال العاميَّة اصدق صورة لامور قائليها تتضمَّن خلاصة احوالهم. وهذا القسم الثاني يشتمل نيِّف وتسعمائة مَثل (ع ٩٢٧—١٨٦٥) جمعها المؤلف من مصادر شتَّى منها قديمة ومنها حديثة ورتَّبها على حروف المعجم من حرف السين الى الميم كأنهُ لم يجد شيئًا على الحروف الثلثة الاخيرة. وما يقال بالاجمال في هذا المجموع انَّ صاحبهُ لم يضنّ بوقتهِ وتعبهِ ليجعلهُ غنيًّا بمضامينهِ مفيدًا لمحبّي الآداب الشرقيَّة وشروحهُ غالبًا لهذه الامثال موافق لمعانيها الَّا البعض منها كالاعداد (١٣٦٧, ١٧٧٢, ١٨٠١) فانهُ لم يُصب على ما نظنّ غرضها. وكذلك كان الاولى بجناب المؤلف لو افرز الامثال الحديثة العاميَّة اللهجة عن الامثال القديمة لانَّ هذه لا تختصّ بالجزائر والمغرب فضلًا عن كونها واضحة المعاني بخلاف تلك التي تحتاج الى شروح لغويَّة وغيرها ممَّا لم يستوفهِ الشارح. وعلى كلّ فانَّنا نثني على هذا التأليف ونتمنَّى لهُ رواجًا كبيرًا

ل. ش

Eine alte Liste arabischer Werke zur Geschichte Spaniens und Nordwestafrikas, von **G. Kampffmeyer**, *Berlin*, 1906, p. 37.

جدول مخطوطات عربية في تاريخ الاندلس والمغرب

وقف المستشرق الفاضل كمفاير على جدول معتبر وجدهُ في خزانة كتب برلين يحتوي ١٥٣ كتاباً عربياً في تاريخ الاندلس والمغرب ومعظم هذه الكتب عزيزة الوجود جليلة المضامين فنشر الجدول المذكور والحقهُ بشروح وتفاصيل على كلّ كتاب لتعريف مشتملاتهِ وبيان ما يتعلّق بهِ مع ذكر نسخهِ المعروفة في حواضر البلاد . فنشكر لجنابهِ هذا الاثر الجديد الذي إضافهُ الى الخدم المتعدّدة التي خدم بها الآداب الشرقيّة

Campagnes du roi Amaury I, par **Gustave Schlumberger** de l'Institut, *Paris*, *Plon-Nourrit*, In-8, 1906, p. 349.

مآثر اموري الاوّل

انّ مؤلف هذا الكتاب منذ سنين عديدة قد خصّ نفسهُ بدرس الشرق المسيحي فانّ تآليفهُ في ذلك كادت لا تُعدّ كثيرة فانّهُ ابرز في ذلك كتباً مختلفة في فنون شتّى كالمسكوكات والعاديّات والتاريخ والتراجم . ومن هذه المصنّفات ما سبق لنا ذكرهُ في المشرق (٥:١٠٠٣ و ٦:٩٢) مع الثناء على صاحبها المعدود بين كبار الكتبة الفرنسويين . وهذا الاثر الجديد اهلٌ بالآثار السابقة يشبهها في حسن موضوعها وطلاوة كتابتها وفيهِ ذكر مآثر اموري الاوّل من السنة ١١٦٢ الى سنة وفاتهِ ١١٧٤ . وممّا اعجبنا في هذا الكتاب انّ صاحبهُ راجع في تصنيفهِ كلّ ما كتبهُ العرب والفرنج معاً فجمع بين اقوالهم ووفّق بينها على طريقة مفيدة ولذيذة معاً بحيث انّ القارئ اذا ما باشر بالكتاب لا يتمالك من مواصلة قراءتهِ الى آخرهِ لما يجدهُ فيهِ من الروايات الشائقة والاوصاف المبهجة . فنحضّ كلّ محبّي التواريخ الشرقيّة على مطالعتهِ ل . ش

Qu'est-ce que la Science? par **L. Baille**, *Paris*, *Bloud et C^ie^*, In-12, pp. 80.

ما هو العلم ؟

هذا التأليف من جملة المجموع الذي ينشرهُ بعض كاثوليك فرنسة في « العلم والدين » مؤلفهُ احد اساتذة اليسوعيين في الكليّة التي انشأها لاون الثالث عشر في اناني . امّا مدار الكلام في هذا الكتاب فعن الموافقة بين العلم والايمان وهو موضوع كثر فيهِ البحث في ايّامنا وقد نكر البعض وجود علاقة او توافق بين العلم والايمان كأن الله

الايمان ليس هو الـه العلم ايضاً . ومن ثمَّ قد سعى الاب « بيل » ان يبيّن في هذا الكتاب حدود الايمان وحدود العلم كلًّا في حيّزه ثمَّ انتقل الى تعريف العلائق بينهما موضحاً انَّهُ لا يمكن احدهما أن يستغني عن الآخر مع فضل الايمـان وعلو مرتبته على العلم . وقد اثبت الكاتب الاديب قولهُ مستندًا الى الادلّة العقليّة والنقليّة معًا معلنًا بان فصل العلم عن الدين كفصل الجسد عن النفس الاب ف تورنيز

في مجمع الابرشيّة

للخوري بولس عويس . طُبع في الاسكندريّة سنة (١٩٠٧ ص ١٥٨)

انَّ الحقّ القانونيّ احد فروع الدروس اللاهوتيّة العمليّـة في الكنيسة . فما اجدر اكليروس بلادنا ان يتفرَّغ لاحراز مطالبهِ وحضرة الخوري بولس عويس اخذ على نفسهِ بان يقرّب لمواطنيهِ هذا الدرس . وقد ألَّف في هذه المواضيع كتباً ذكرناها في اوقاتها وخصوصاً كتابهُ في المجمع الاقليميّ (المشرق ٨ : ١١٠٧) . واليوم اهدانا كتاباً آخر ألحقهُ بالسابق مداره على « مجمع الابرشيّة » يجث فيهِ في كل ما ينوط بهذه المجامع الخاصّة كلزومها وشروطها والاشخاص الذين تتألف منهم وفي اعمالها ومراسيمها . ولكلّ قسم فصول وابواب متعدّدة تتناول كلّ موادّ هـذه المجامع مستندًا في ذلك الى مصادر قانونيّة اخصُّها تآليف البابا بندكتس الرابع عشر في المجامع التي صنّفهـا قبل ارتقائهِ الى السدّة البطرسيّة وربَّما نقل فصولًا من اعمال المجمع اللبنانيّ ومجمع الشرفة ومجمع القبط تأييدًا لها . ونحن مع اثنائنا على هـذا التأليف كنّا وددنا لو صادق عليهِ احد اساقفة الطائفة المارونية لتزيد ثقة القرّاء بهذه التعاليم التي بينها عدَّة امور هي جارية في ابرشيّات اوربَّة ولم تلازم الابرشيّات الشرقية . وزد على ذلك انَّ في لهجة المؤلف اقوالًا وانتقادات على بعض رؤساء طائفتهِ وغيرهـا كان الاولى بهِ ان يتحاشاها لاسيما في المقدّمة وفي الفصول الاولى ل . ش

شذرات

جهينة الاخبار قرأنا في احدى جرائد الثغر فصلًا مطوَّلًا لبعض الادباء حاول فيهِ الردّ على ما اجبنا بـهِ مستفيدًا بخصوص تعريب اسفار التوراة وسبك

الحروف العربيَّة في مطبعتنا فسألنا المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ حصَّةً فيها. فكان جوابنا على السؤال الاوَّل ان الشيخ لم يعرّب هذه الاسفار وانَّما هذَّب تعريب احد اليسوعيين. وعلى السؤال الثاني انَّ الشيخ بين ١٦ جنساً من الحروف التي استعملتها مطبعتنا لم يشتغل الَّا بحفر جنس واحد مع مساعدة احد رهباننا. فهذا الجواب مع وضوحهِ قد وجدهُ المعترض ملتبساً وكتب في الجريدة المذكورة اربعة عواميد كاملة لم نستفد منها شيئاً الَّا انَّها تؤيد قولنا في امر تعريب التوراة وسبك الحروف. اما ما زادهُ جنابهُ على ذلك فلا علاقة لهُ بالسؤالين المذكورين ونحن احرص على وقتنا من أن نضيعهُ للردّ على مثل هذه السفاسف التي تذكّرنا ببعض انتقادات الشيخ. امَّا انتظارهُ منَّا ان نرثي الفقيد فانَّنا نرى احسن الرثاء الصلاة لاجل نفسهِ عساها تفيده في آخرتهِ اكثر من التقاريظ الفارغة التي يتسارع اليها من ليس لهم بضاعة غيرها وهي لا تغني المرء ذرَّةً يوم الدين

تجارة حيفا قدَّم المسيو كالياردو قنصل فرنسة في حيفا تقريراً عن الحركة التجاريَّة في ذلك الثغر نلخص عنهُ ما يلي:

ان سنة ١٩٠٥ (اذار ١٩٠٥—اذار ١٩٠٦) كانت اروج السنين تجارةً في حيفا فقد بلغت التجارة ٦,٨٥٨,٠٣٦ فرنكاً منها ٣,٩٣٣,٥٠٩ فرنكات للواردات و٢,٩٢٥,٥٢٧ فرنكاً للصادرات. وكانت في السنة الماضية ٥,٢٦٦,٥٨٦ فرنكاً فتكون الزيادة هذه السنة ١,٥٩١,٤٥٠ فرنكاً وهذه الزيادة تعزى الى اسباب مختلفة منها اقبال المواسم وكثرة الطلبات على محاصيل هذه البلاد وكثرة المواصلات التي نتجت عن الخط الحجازي وزيادة السكان ووفرة المحلات التجاريَّة التي اخذت تتعامل مع الخارج وعليهِ فان هذه السنة تدوّن نهضة جديدة في تجارة حيفا ولا شك في انها تظل سائرة على قدم النجاح لسهولة المواصلات ان بحراً وان براً.

وكانت مدينة بيروت الى الان محتكرة تقريباً تجارة حيفا لما فيها من المصارف الكبيرة... اما الان فان هذه الحالة قاربت الزوال فان المصرف العثماني قد فتح لنا هنا شعبة جديدة كذلك فعل مصرف دمشق فلسطين واخذت البواخر تأتي حيفا في مواعيد معيَّنة فتجلب لها البضائع رأساً من اوربَّة بعد ما كانت تأتيها من بيروت. والمقام الاول في تجارة حيفا للدولة العليَّة وبعدها لفرنسة (البشير)

﴿ اكبر القلوس البحريَّة للتلغراف ﴾ قد انجزت الولايات المتحدة وضع قلوس تلغرافيَّة بين بلادها وجزائر فيلبين · وهو اطول ما مُدَّ حتى اليوم من الحبال التلغرافيَّة في غور البحار طولهُ ١٤٫١٤٠ كيلومترًا اوَّلهُ من مدينة سان فرنسكو وينتهي الى مدينة مانيلا مارًّا بجزيرة هونولولو من جزائر هواواي ثمَّ بجزائر مِدواي وغوام وهو يبلغ اعماقًا عجيبة كانت لا تُعرف حتى الآن فانهُ ينزل في بعض الامكنة الى عمق ٩٠٠٠ متر ويقطع الاوقيانوس الهادئ في كلّ عرضهِ وهو خطٌّ مستقلّ لا يتعلَّق بغيرهِ فيمكن الاميركيين ان يستخدموهُ لكل حاجاتهم دون عائق

﴿ الميكادو واليسوعيُّون ﴾ ذكرنا في المشرق (٥ : ٣٨٠ و٨ : ٧٢٢) ما لمرصد زيكاواي في الصين من الشهرة · وقد ادَّى الآباء اليسوعيون فيهِ لبحريَّة الدول كلها خدمًا لا تُعدّ بأرصادهم المضبوطة لاسيَّما للاعصارات والانواء التي هي اعظم آفات بحار الشرق الأقصى فانَّهم يرصدون هذه الاعصارات بتدقيق عجيب وهم يخابرون لهذه الغاية نيفًا واربعين مرصدًا ليستفيدوا من ملحوظاتها وعلى ارصاد اليسوعيين في زيكاواي يعوّل ارباب المراكب ان لم يشاؤوا المخاطرة بنفوسهم واموالهم · وكان امبراطور المانية ارسل لهم رقيمًا بيدهِ يشكرهم على معلوماتهم المفيدة واليوم افادتنا اخبار الصين انَّ الميكادو ملك اليابان أرسل لمدير مرصد زيكاوي وسامًا من الصنف الاوَّل اقرارًا بفضلهِ وفضل رصفائهِ الذين نفعوا نقابة البحر في اليابان منافع جمَّة · وعلى خلاف ذلك كان اصحاب مرصد هنغ كنغ الانكليز أبوا ان يخابروا مرصد زيكاواي فدهم مدينة هنغ كنغ إعصار شديد في ١٨ ايلول الماضي أُصيبت بهِ المدينة باضرار جسيمة · فكتب رئيس نقابة البحر الانكليزيَّة اوتربردج (Auterbridge) رسالة لمدير مرصد زيكاواي يثني على اعمالهِ ويشكو جهل المتولين مرصد هنغ كنغ ويطلب من اليسوعيين ان ينشئوا مرصدًا في هنغ كنغ كما فعلوا في زيكاواي

﴿ نابوليون في جزيرة سنت هيلانة ﴾ ارسل لنا جناب الاديب حلمي افندي مصري هذا المخمَّس على لسان نابوليون لمَّا زار قبرهُ في باريس في المحلّ المعروف بالانفاليد :

ضاق صدري ايها البدرُ المنيرْ   ولجيش الحزن في قلبي سعيرْ
مُذ وهى نجمي اصبحتُ اسيرْ   بعدَ ان كنت على الهام أميرْ

ومجالُ الارضِ عن عزمي صغير

فتطلّعْ هل ترى نسري الصغيرْ هل درى ما حلَّ بالنسرِ الكبيرْ
أم نفوهُ تحت جدران القصورْ ثمَّ قصّوا جنحَـهُ كيلا يطيرْ

آهِ ما علّمتهُ طيرَ النسورْ

خابت الآمالُ يا ابني فالوداعْ تاجُ مستقبلك انحطَّ وضاعْ
وتلقتهُ الاعادي باندفاعْ كي يذلّوا ابناً صغيراً في رضاعْ

يا لتاجٍ عمرهُ كان قصيرْ

قد صفا الجوُّ لهم لمّا ابوكْ صار منفيّاً وأنتَ استلموكْ
كلّهم يسعونَ حتّى يعدموكْ طالما في فكرهم قد قتلوكْ

فاسمُ نابليونَ أبلاهم كثيرْ

فتدرَّعْ أيها المسكين صبراً إنني خلّفتُ حملاً لكَ وعرا
انما فيكَ دمٌ يُعليكَ قدرا فأصلهم حرباً تجرُّ النصرَ جرّا

لا تكنْ نابوليونيّاً اخيرْ

هل نسيتِ العهدَ يا ماري لويزْ هل ثنّاً قد تنسيكِ بريزْ
لا فبعدي لن ترَي ركناً حريزْ فاحفظي ابني وهوَ الشبلُ العزيزْ

انّهُ يزأرُ مثلي في السريرْ

أسفاه أين مهري العربيّ أين جندي أين نسري العلويّ
نصرَ أسترليزَ كم انتَ بهيّ لا تغبْ عني ايا مجدي السنيّ

فمعَ السيفِ فقط صرتُ أسيرْ

ايها النسرُ لقد ساموكَ خسفا هكذا شمسُ الضحى تُخسفُ خسفا
مثل نابليونَ هل يُرغمُ أنفا مثل نابليون يا ناسُ أيُنفى

فاعجبوا مني ومن هذا المصيرْ

إقبلي مني سلاماً يا فرنسا بعد نابليونَ هل قد طبتِ نفسا
فهوَ في هيلانة صادف مرسى يا لمرسى سوفَ ألقي فيهِ رمسا

أو يهوي النسرُ الّا في الصخورْ

اسئلة واجوبة

س سألنا احد كهنة لبنان عن اصل العادة الجارية في اوّل الصوم في خروج العامّة لاستقبال الراهب

استقبال الراهب في بدء الصوم

ج قد مرَّ الكلام في هذه العادة سابقًا (انظر المشرق ١ : ٢٣٩)

س وسألنا احد الافاضل في الثغر من المقصود بلفظة الآلهة في المزمور الحادي والثانين حيث ورد ما جاء تعريبهُ في ترجمتنا : « الله قائمٌ في جماعة الله يقضي على بواطن الآلهة وفي وسط الآلهة بحكم » ونُقل الى الانكليزيّة على هذه الصورة « God standeth in the Congregation of the Mighty . He judgeth among the Gods »

شرح آية من المزامير

ج انَّ اسمهُ تعالى قد ورد هنا على صورتين وهذا منطوق الآية في الاصل العبرانيّ : אלהים נצב בעדת אל בקרב אלהים ישפט وتعريبهُ اللفظي هكذا : « الوهيم قائم في مجمع ايل وفي وسط الوهيم يقضي » فألوهيم الاولى اسم الجلال بلا مراء وردت في اوّل سفر التكوين . ولفظها على الجمع يراد بهِ معنى التعظيم . امَّا « ايل » فاسم آخر لله عزَّ وجل والمقصود من « مجمع » الله مقامهُ الذي يتجلَّى فيهِ وخصوصًا هيكلهُ . وقد عرَّبها البعض على لفظ الجمع فقالوا في « مجمع الآلهة » بدلًا من « مجمع الله » وتعريبهم هذا مبنيّ على الترجمة السبعينيّة التي ورد فيها اسمهُ تعالى مجموعًا فصار المدلول مجازيًّا بمعنى « القادرين » وعليهِ الترجمة الانكليزيّة (Mighty) . امَّا المقصود باسم « الوهيم » في آخر الآية فمعنى المجاز اي القضاة الذي يشبهون الله بحكمهم على البشر . وممَّا يثبت هذا المعنى قرينة الكلام في الآيات التابعة حيث يبكّت تعالى المتولّين القضاء جورًا . ثمَّ جاء لفظ « الوهيم » بهذا المعنى في آيات أُخرى مثلًا في سفر الخروج (٢١ : ٦) وفيهِ يؤمَر سيّد العبد ان « يخرج بعبدهِ الى الآلهة » فيثقبوا اذنهُ بسمةٍ خاصّة . وكذا فهم السيّد المسيح هذه اللفظة بمعنى القضاة وامراء الشعب والانبياء . حيث استشهد بآية أُخرى من هذا المزمور التي تعريبها : « قلتُ انكم آلهة » فاتَّخذ الربّ منها برهانًا على لاهوتهِ فقال للفريسيين (يوحنَّا ١٠ : ٣٥) : « فان كان قد قال للذين صارت اليهم كلمة الله آلهةً ولا يمكن ان يُنقض الكتاب فالذي قدَّسهُ الآب وارسلهُ الى العالم اتقولون لهُ انك تجدّف لاني قلت : انا ابن الله » ل . ش